



لتحميل المزيد من الكتب

تفضلوا بزيارة موقعنا

www.books4arab.me

محمد علي قطب

مسلمات مؤمنات



للطبع والنشر والنزاع
١٦ شارع كامل صدق بالقبالة
القاهرة ن ٩١١٣٧١

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

— صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ —

خديجة أم المؤمنين

نحن اليوم على موعدٍ مع شخصيةٍ حيّبةٍ إلى نفوسنا . طالما آزرتِ
النبي ﷺ في صدرِ الدَّعوةِ الإسلاميّةِ . وأعانتِ على تثبيتِ ونشرِ دعوةِ
الإسلام .

وهي الزوجة الأولى للنبي ﷺ . وأول مسلمةٍ آمنت به وصدّقته
وحملت لقب أم المؤمنين .

وهي أمّ أولاد النبي ﷺ : القاسم وعبد الله « الطيّب أو الطاهر »
وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة .

تلك الشخصية هي السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد
العزى بن قصي القرشية الأسدية . سيدة نساء أهل زمانها .

وأُمها هي فاطمة بنت زائدة بن الأصم . واسم الأصم جندب بن
هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب
ابن فهر .

وكانت تُكنى في الجاهليّة : أمّ هند .
وهي الملقبة بالطاهرة وسيدة قريش .

مولدها

وُلدت رضي الله عنها في بيت مجدٍ وسودد ورياسة قبل الهجرة بثمانية
ومستين عامًا وقبل عام الفيل بخمسة عشر عامًا تقريبًا .

والحديث عن عام الفيل يشدُّنا إلى معرفة بُدَّةِ يسيرة عن حادثة الفيل
التي أَرَّخَ بها العرب رَدْحًا من الزمن .

وهذه الحادثة تتلخص في أنَّ أبرهة الحبشيَّ ضاق ذرعًا بإقبال العرب
على الحج إلى بيت الله الحرام ومجيء الناس من كل مكان إلى مكة
المكرَّمة البلد الأمين . ولذا قرر أن يبني في اليمن كنيسة تفوقها زخرفةً .
ثم طلب من الناس أن يحجُّوا إليها ويتَّجهوا لها بقرايبهم ،
ويقصدوها في صلواتهم وأداء شعائِرهم . ولكن الناس لم يكثرثوا
لكنيسته ومكثوا على حالهم يعظِّمون الكعبة ويقدِّسونها ويحترمونها البلد
الحرام . وحينئذ ثار أبرهةُ وقرَّرَ هدم الكعبة المشرفة حتى يُرغم الناس على
تقديس الكنيسة التي بناها .

فجهَّز جيشًا عظيمًا وفير العدد كثير العدد وصدَّره بفيلٍ عظيمٍ حتى
يُشير الرُّعب في قلوب ساكني مكة . وقرَّرَ غزو البلد الآمن ، فتقدم على
رأس الجيش نحو الكعبة في مكة .

وعَلِمَ أَهْلُ مكة بِقُدُومِ جيشٍ لا قِبَلَ لَهُمْ به قاصِدًا الكعبةَ
ليَهْدِمَهَا ، فارتاعوا واشتد بهم الهلع والاضطراب وأدركوا أنَّ الأمر فوق
طاقتهم .

ولكن شيخهم العاقل عبدَ الْمُطَّلِبِ تعلق بأستار الكعبة وأخذ يُنشد :

لا هُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْدُ عَ رَحْلِهِ فَاَمْنَعُ حَلَالِكُ

لا يَغْلِبُنْ صُلَيْبُهُمْ وَمَحِ سَالُهُمْ غَدَاً مِحَالِكُ

ودعا ربه أَنْ يَحْمِيَ الْبَيْتَ . ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى الْجَبَلِ لِيَتَحَرَّزُوا فِيهِ يَنْتَظِرُونَ دُخُولَ أَبْرَهَةَ مَكَّةَ وَمَا يَفْعَلُ فِيهَا .

وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَدَخَلَ الْجَيْشُ (أُمُّ الْقُرَى) وَوَجَّهَ أَبْرَهَةَ الْفِيلُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَعِنْدَهَا أَيْ الْفِيلُ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، وَوَجَّهَهُ أَبْرَهَةَ وَجْهَةً أُخْرَى فَهَشَى ، فَعَادَ وَوَجَّهَهُ نَحْوَ الْبَيْتِ فَوَقَفَ ثَابِتًا لَا يَتَحَرَّكَ يَرْفُضُ الْمَسِيرَ لِهَدْمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .

وَحَارَ جُنُودُ أَبْرَهَةَ فِي أَمْرِ هَذَا الْفِيلِ وَتَسَاءَلُوا : مَاذَا يَفْعَلُونَ ؟ . وَلَكِنْ الْجَوَابُ جَاءَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ حَلَّقَتْ فَوْقَهُمْ أَسْرَابٌ مِنْ طَيْرٍ تَحْمِلُ فِي مَنَاقِيرِهَا حُبُوبًا دَقِيقَةً أَلْقَتْهَا عَلَى جَيْشِ أَبْرَهَةَ وَفِيْلَهُمْ ، فَإِذَا كُلُّ مَنْ جَاءَتْ فَوْقَهُ حَبَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْحُبُوبِ يَهْلِكُ ، فَهَلَكَ الْمَلِكُ الطَّاعِيَةُ وَهَلَكَ الْجُنُودُ الظَّالِمُونَ وَهَلَكَ الْفِيلُ .

وَسَجَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حَيْثُ قَالَ فِي سُورَةِ الْفِيلِ :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ^(١) * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ^(٢) * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ ^(٣) مَأْكُولٍ ﴾ .

(١) طير أبابيل : أى جماعات جماعات .

(٢) من سجيل : من طين متحجر .

(٣) كعصف : ورق الشجر .

وَأَصْبَحَتْ مَكَّةُ فَشَهِدَتْ انتِقَامَ رَبِّ آلِ بَيْتِهِ وَحِمَايَتِهِ لَهُ .
 فَتَحَدَّثَتْ بِالْقِصَّةِ مَأْخُودَةً بِرُوعَةِ الْحَادِثِ ، وَجَلَالِ الْحَيَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ .
 وَأَصْبَحَتْ قَرِيشٌ تُورِّخُ بِهَذَا الْحَادِثِ فَتَقُولُ :
 (حَدَّثَ هَذَا قَبْلَ عَامِ الْفِيلِ بِكَذَا أَوْ بَعْدَ عَامِ الْفِيلِ بِكَذَا) .
 وَفِي عَامِ الْفِيلِ وَلِدَ النَّبِيُّ ﷺ .

* * *

وَقَدْ نَشَأَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ فِي بَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتَاتِ الشَّرِيفَةِ فَتَرَبَّتْ عَلَى
 الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، وَاتَّصَفَتْ بِالْحَزْمِ وَالْعَقْلِ حَتَّى دَعَاها قَوْمُهَا
 (الطَّاهِرَةُ) لَشِدَّةِ حِرْصِهَا عَلَى الْخُلُقِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَدَبِ الْعَظِيمِ .
 وَقَدْ مَاتَ أَبُوهَا خُوَيْلِدٌ قَبْلَ حَرْبِ الْفِجَارِ ، فَأَشْرَفَ عَلَى شُؤْنِهَا
 عَمُّهَا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ .

زَوَاجُهَا

كَبُرَتْ خَدِيجَةُ وَأَتَّخَذَ يَظْهَرُ فَضْلُ عَقْلِهَا فِي الْمُجْتَمَعِ ، فَتَقْدَمُ
 لِخُطْبَتِهَا أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ ، كَشَرَفِ حَسَبِهَا وَنَسَبِهَا وَعَظِيمِ أَدَبِهَا . فَتَزَوَّجَتْ
 السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ أَبَا هَالَةَ . وَاخْتَلَفَتْ كُتُبُ السِّيَرَةِ فِي اسْمِهِ فَقِيلَ : اسْمُهُ
 نَمَّاشٌ أَوْ نَبَّاشٌ وَقِيلَ : زُرَّارَةُ وَقِيلَ : مَالِكٌ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ
 أَبُو هَالَةَ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ حَبِيبَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ عَدَى بْنِ جَرُودَةَ
 ابْنِ أُسَيْدٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ تَمِيمِ الْقَيْمِيِّ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ .

فَانْجَبَتْ مِنْهُ هَالَةٌ وَهَنْدًا وَبِهِ كَانَتْ تُكْنَى . وَقَدْ عَاشَ هَنْدٌ حَتَّى أَدْرَكَ
النَّبِيَّ ﷺ فِي الْبَعْثَةِ وَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ . وَقَدْ وَصَفَ هَنْدُ
النَّبِيَّ ﷺ فَأَحْسَنَ وَصْفَهُ وَأَثَقَنَهُ .

وَلَهُ جِهَادٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ عُمِّرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى خِلَافَةِ الْإِمَامِ
عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَاسْتُشْهِدَ فِيهَا .

ثُمَّ حَدَّثَ فِرَاقُ بَيْنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ وَزَوْجِهَا الْأَوَّلِ أَنَّى هَالَةٌ بِسَبَبِ مَوْتِهِ .
ثُمَّ تَزَوَّجَتْ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ مِنْ عَتِيقِ بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
ابْنِ مَخْزُومٍ الْمَخْزُومِي .

وَمَكَثَتْ مَعَهُ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ افْتَرَقَا أَيْضًا .
وَبَعْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ لَهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَرْغُبُهَا زَوْجَةً لَهُ .
وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهَا آثَرَتْ أَنْ تَنْصَرِفَ لِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا ، وَإِدَارَةِ شُؤْنِ
تِجَارَتِهَا ، فَقَدْ كَانَتْ غَنِيَّةً ذَاتَ مَالٍ . وَكَانَتْ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا
لِيَتَاجَرُوا لَهَا ، وَتَدْفَعُ لَهُمُ الْمَالَ مُضَارَبَةً ، فَتَكُونُ عِيرُهَا كَعَامَةٍ عَيْرِ
قُرَيْشٍ .

ذَلِكَ مُوجِزٌ عَنْ سِيرَةِ حَيَاتِهَا قَبْلَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِسَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ .

* * *

صفاتها

كَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَمْتَازُ بِجَدَّةِ الذِّكَاءِ وَالْعِفَّةِ وَالطُّهْرِ وَالسَّاحَةِ
وَالسَّخَاءِ .

وَهِيَ مِمَّنْ كَمَّلَ مِنَ النِّسَاءِ ، لَقَّبَهَا الرَّسُولُ ﷺ بِسَيِّدَةِ نِسَاءِ أَهْلِ
زَمَانِهَا . وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِشَهَادَةِ زَوْجِهَا الْحَبِيبِ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ رَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهَا :

(إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بَيْتِي فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ
وَلَا نَصَبَ) .

وَقَدْ أَقْرَأَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ السَّلَامَ عَلَى لِسَانِ أَمِينِ الْوَحْيِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَبَشَرَهَا بِهَذِهِ الْبَشْرَى .

كَانَتْ خَدِيجَةَ شَرِيفَةً مُحَسَّبَةً ، حَازِمَةً لَبِيَّةً ، عَاقِلَةً مَصُونَةً جَلِيلَةً
طَاهِرَةً نَقِيَّةَ السَّرِيرَةِ ، صَافِيَةَ الرُّوحِ ، كَثِيرَةَ الْمَالِ ، ذَاتَ حُسْنِ
وَجْهِالٍ ، طَلْقَةَ الْمَحْيَا ، بَاشَةَ الْأَسَارِيرِ ، تَتَمَتَّعُ بِقِسْطٍ كَبِيرٍ مِنْ سَمَوِّ
الْأَخْلَاقِ ، وَشَرَفِ الْحَسَبِ ، وَعُلُوِّ النَّسَبِ .

وَهَذَا كُلُّهُ هَيَّاها لِأَعْظَمِ مَنَزَلَةٍ لَهَا فِي هَذَا الْوُجُودِ .

الرحلة الموفقة المباركة

أَحْسَنَتْ خَدِيجَةُ إِشْرَافَهَا عَلَى أَمْوَالِهَا بِمَرُورِ الْأَيَّامِ وَاتَّسَعَتْ تِجَارَتُهَا إِلَى
الشَّامِ . وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فِي رَجُلٍ أَمِينٍ يُحَسِّنُ لَهَا إِدَارَةَ الْأَمْوَالِ وَالْإِشْرَافَ
عَلَى التِّجَارَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ .

ثم بلغها عن الأمين محمد بن عبد الله أمانته وصدقه ، فرغبت أن
تدفع تجارتها إليه ليتاجر لها فيها فبعثت إليه وعرضت عليه أن يتاجر لها
وتعطيه ، أكثر مما تُعطى غيره ممن تاجر لها مع غلام لها يُقال له
ميسرة .

قال أبو طالب لابن أخيه الأمين محمد ﷺ :
(هذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث
رجالاً يتجرون في مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك
لما يبلغها عنك من أمانتك وطهارتك . وإن كنت أكره أن تأتي الشام
وأخاف عليك من اليهود .

وقال له رسول الله ﷺ :

(ما أحببت يا عم) .

ووافق الأمين .

وقالت له السيدة خديجة :

(إنه مما دعاني إلى البعث إليك دون أهل مكة ما بلغني من صدق
حديثك وعظيم أمانتك وكرم أخلاقك) .

ولم تكف السيدة الكريمة بما بلغها وسمعته عنه بل أرسلت معه
غلامها ميسرة ليراقب حركاته وسكناته عندما يعود .

ولعلنا نلاحظ رجاحة عقلها في إرسال غلامها معه ليلاحظ تصرفاته
ومعاملته ، فإن معاشرته المسافرين تكشف عن خلقه الأصيل ،

وتُظهر شَخْصِيَّتَهُ على حَقِيقَتِهَا فَاْلْمُعَاشِرَةُ تُظْهِرُ الْإِنْسَانَ تَحْتَ بَوْتَقَةِ
الاحتكاك . فهو يراهُ في نَوْمِهِ وقيامِهِ وبيعِهِ وشِرائِهِ ومشِيهِ ومعامَلَتِهِ
وجميعِ تصرُّفَاتِهِ .

وسافر الصادقُ الأمينُ مع غُلامِها في التَّجَارَةِ وأنصَرَفَت السَّيِّدَةُ
خَدِيجَةُ إلى إدارَةِ شُئُونِها في مَكَّةَ في انتظارِ عَوْدَةِ القَافِلَةِ مِنَ الشَّامِ .
وفي أَحَدِ الأَيَّامِ دَخَلَ مَيْسَرَةُ مُسرِعاً على سَيِّدَتِهِ يُزِفُ البُشْرَى بِعَوْدَتِهِ
مع مُحَمَّدِ الأَمِينِ سَالِمِينَ مُحْمَلَيْنِ بِالْأَرْبَاحِ الْوَفِيرَةِ والتَّجَارَةِ الْكَثِيرَةِ .
وأسرَعَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ لَتَسْتَقْبِلَ الأَمِينَ هَاشَةً بِاشَّةَ وهَنَّاثَةً على سَلامَةِ
الوصولِ

وجلسَ الأَمِينُ يَقصُّ عَلَيْها أَنْباءَ رَحْلَتِهِ الْمُوفَّقَةِ . وأَحْصَى لها الرِّبْحَ
فَوَجَدَتْهُ مضاعِفاً في هَذا العامِ ، فَأَجَزَلَتْ لَهُ الأَجْرَ وأَعْطَتْهُ ضِعْفَ ما
قالت ، فخرجَ مُحَمَّدٌ مِنْ عِنْدِها وهو راضٍ مُطْمَئِنٌّ بِالْبَالِ .
وأَقْبَلَتْ خَدِيجَةُ على غُلامِها مَيْسَرَةَ تَسْمَعُ مِنْهُ أَنْباءَ الرِّحْلَةِ وهو يَقصُّ
عَلَيْها ما رَأاهُ مِنْ مُمَيِّزَاتِ لَشَخْصِيَّةِ الصَّادِقِ الأَمِينِ ، وَكانَ أَوَّلُ ما
لَاحَظَهُ مَيْسَرَةُ وَلَفَتَ نَظْرَهُ أَنَّهُ إِذا كانَتِ الهَاجِرَةُ واشتَدَّ الحَرُّ يَرى غَمامَةً
تَظِلُّهُ مِنَ الشَّمْسِ وهو يَسِيرُ على بَعِيرِهِ .

والشَّيْءُ الثَّانِي : كانَ صِدْقُهُ في البَيْعِ والشَّراءِ .

والشَّيْءُ الثَّالِثُ : الَّذِي لَاحَظَهُ مَيْسَرَةُ أَنَّهُ كانَ لا يَحْلِفُ على شَيْءٍ
سِوَةِ قَطْ ولا يُلحُّ على التَّاجِرِ أَنْ يَأْخُذَ سُلْعَتَهُ ... وَأَشْياءُ أُخْرى كَثِيرَةٌ .

وَأَخَذَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةً بِمَا سَمِعَتْهُ مِنْ كَرِيمِ صِفَاتِ الْأَمِينِ وَعَظِيمِ
سَجَايَاهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ .

زواج ميمون

شُعِلَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِالْأَمِينِ مُحَمَّدٍ وَتَسَاءَلَتْ :
تُرَى هَلْ يَقْبَلُ الْأَمِينُ الزَّوْاجَ مِنْهَا وَهِيَ الَّتِي بَلَغَتْ الْأَرْبَعِينَ مِنْ
عُمُرِهَا وَهُوَ لَمْ يَزَلْ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ ؟ .

وَبَقِيَتْ عَلَى حَالِهَا حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيْهَا صَدِيقَتُهَا نَفِيسَةُ بِنْتُ مُنِيَّةٍ
فَجَلَسَتْ مَعَهَا تُبَادِلُهَا أَطْرَافَ الْحَدِيثِ فَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهَا مَا تُفَكِّرُ فِيهِ
صَدِيقَتُهَا فَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى بَاَحَتْ لَهَا بِمَا يَدُورُ بِخَلْدِهَا وَهِيَ تَسْتَعْرِبُ
ذَلِكَ النَّبْضَ الْعَمِيقَ الَّذِي اجْتَاَحَ جَوَارِحَهَا وَسَكَنَ قُودَهَا .

وَلَكِنْ الصَّدِيقَةُ الْوَفِيَّةُ هَدَّاتُ مِنْ رَوْعِهَا وَطُمَأْنَنْتُ خَاطِرَهَا وَذَكَرَتْهَا
بِنَسَبِهَا وَحَسَبِهَا وَبَأَنَّهَا مَا زَالَتْ جَمِيلَةً فَتِيَّةً وَأَنَّهَا إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ ثَرِيَّةٌ وَكَمْ
مِنْ أَشْرَافٍ قَوْمِهَا طَلَبَ يَدَهَا وَتَمَنَّاها زَوْجَةً لَهُ !!

وَخَرَجَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ مِنْ عِنْدِ صَدِيقَتِهَا وَانْطَلَقَتْ إِلَى مُحَمَّدِ
الْأَمِينِ . وَمَا أَنْ جَلَسَتْ حَتَّى ابْتَدَرَتْهُ مُتَسَائِلَةً :

يَا مُحَمَّدُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟ !

وَأَحْسَنُ الْأَمِينِ مُحَمَّدٌ أَنَّهَا تَعْرِضُ عَلَيْهِ زَوْجَةً تُرَشِّحُهَا لَهُ فَقَالَ لَهَا :
مَا فِي يَدَيَّ شَيْءٌ أَتَزَوَّجُ بِهِ !!

وَابْتَسَمَتْ نَفِيسَةٌ ثُمَّ قَالَتْ :
فَإِنْ كُفِّتَ وَدُعِيتَ إِلَى الْمَالِ وَالْجَمَالِ وَالشَّرَفِ وَالْكَفَاءِ فَهَلْ
تُجِيبُ؟.

وَسَأَلَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ :

وَمَنْ؟.

قَالَتْ : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ .

وَقَالَ الْأَمِينُ :

فَإِنْ وَافَقَتْ فَقَدْ قَبِلْتُ .

وَانْطَلَقَتْ نَفِيسَةٌ فَدَخَلَتْ عَلَى خَدِيجَةَ تَزْفُّ إِلَيْهَا الْبُشْرَى بِمُوَافَقَةِ
الْأَمِينِ عَلَى الزَّوْاجِ مِنْهَا . فَأَشْرَقَ مُحْيَاها وَتَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُها وَشَكَرَتْ
صَدِيقَتَهَا عَلَى مُهِمَّتِهَا الْجَلِيلَةِ . وَقَامَتْ فِي حُبُورٍ تُوزَعُ الْعَطَايَا عَلَى الْفُقَرَاءِ
شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى تِلْكَ النِّعَةِ الْعَظِيمَةِ . وَالسَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ .

وَأَخْبَرَ الْأَمِينُ أَعْمَامَهُ أَبَا طَالِبٍ وَالْحَمْزَةَ وَالْعَبَّاسَ بِرِغْبَتِهِ فِي الزَّوْاجِ
مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَطَلَبَ مِنْهُمْ خِطْبَتَهَا لَهُ فَوَافَقَ أَعْمَامُهُ
مَسْرُورِينَ بِاخْتِيَارِ ابْنِ أَخِيهِمْ .

وَحَدَّدَ أَعْمَامُهُ مَعَ عَمِّهَا عَمْرُو بْنِ أَسَدٍ يَوْمًا لِلزَّوْاجِ مُحَمَّدٌ بِخَدِيجَةَ .
وَذَهَبَ الْأَمِينُ مَعَ أَعْمَامِهِ إِلَى دَارِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ فَلَمَّا اكْتَمَلَ عَدَدُهُمْ
تَقَدَّمَ أَبُو طَالِبٍ فَافْتَتَحَ الْحَفْلَ بِخُطْبَةٍ جَاءَ فِيهَا :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَزَرَعَ إِسْمَاعِيلَ وَجَعَلَ لَنَا

بَيْتًا مَحْجُوجًا ، وَحَرَمًا آمِنًا ، وَجَعَلْنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ ... ثُمَّ إِنَّ ابْنَ
أَخِي هَذَا : (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ شَرْفًا وَنُبْلًا
وَفَضْلًا وَعَقْلًا .

وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلًّا ، فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ ،
وَلَهُ فِي خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَغْبَةٌ وَلَهَا فِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ .

ثُمَّ تَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ ، فَأَثْنَى عَلَى الْأَمِينِ مُحَمَّدِ الزَّوْجِ الْمُبَارَكِ
وَأَهْلِهِ ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَعْلَنَ قَبُولَ زَوَاجِهِ مِنْ ابْنَةِ أَخِيهِ الْجَلِيلَةِ وَاتَّفَقَ مَعَهُ
عَلَى صَدَاقٍ قَدَرُهُ عَشْرُونَ بَكْرَةً .

وَفِي يَوْمٍ مَا مِنْ أَيَّامِ مَكَّةَ السَّعِيدَةِ انْطَلَقَ خَبْرُ زَوَاجِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ .

وَأُقِيمَتِ الْوَلَائِمُ فِي بَيْتِ الْعَرُوسِ وَنُحِرَتِ الذَّبَائِحُ وَوُزِعَتِ عَلَى
فُقَرَاءِ مَكَّةَ فَأُطْعِمَ الْجَائِعُ وَأُعْطِيَ الْمَحْرُومُ .

وَأَخَذَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ تَسْتَعِدُّ لِيَوْمِ زَفَافِهَا وَأَحْسَتِ لِفَرَطِ فَرَحِهَا
وَعَظِيمِ بَهْجَتِهَا أَنَّهَا نَالَتْ مَا تُرِيدُ .

وَجَاءَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ وَأَصْبَحَتِ الطَّاهِرَةُ زَوْجًا لِمُحَمَّدِ الْأَمِينِ ﷺ .
وَشَهِدَتِ الْعُرْسَ الْعَظِيمُ مَعَ مَنْ شَهِدَ ، السَّيِّدَةُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ الَّتِي
أَرْضَعَتِ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَعَادَتْ إِلَى قَوْمِهَا وَمَعَهَا
أَرْبَعُونَ رَأْسًا مِنَ الْغَنَمِ هَدِيَّةً مِنَ الْعَرُوسِ الْكَرِيمَةِ .

وسعدتُ خديجةُ بتمامِ زواجِها من زَيْنِ رِجَالِ قُرَيْشٍ وَأَفْضَلِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ .

خديجةُ الزوجة

ضَرَبَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ أَجَلَ الْأَمْثَالِ وَأَرْوَعَهَا عَلَى حُبِّهَا لَزَوْجِهَا وَإِثَارِهَا لَمَّا يُحِبُّهُ . فَإِنَّمَا عِنْدَمَا رَأَتْ حُبَّهُ لَمَوْلَاها زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَهَبَتْهُ لَهُ عَنْ طَيْبِ خَاطِرٍ وَكَرَمِ نَفْسٍ .

وَلَمَّا آتَتْ مِنْهُ الرُّغْبَةَ فِي أَنْ يَكْفُلَ أَحَدَ أَبْنَاءِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ رَحَّبَتْ وَأَفْسَحَتْ لِلْإِمَامِ (عَلِيٍّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي قَلْبِهَا مَكَانًا كَبِيرًا وَرَعَّتْهُ بَعَيْنُ الْحُبِّ وَالرَّعَايَةِ ، فَخَفَّفَتْ بِذَلِكَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ . وَجَعَلَتْ زَوْجَهَا قَرِيرَ الْعَيْنِ بِمَا قَدَّمَهُ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ عُرْفَانًا بِالْجَمِيلِ . وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَدَّمَتِ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ (لَعَلِيٍّ) وَ (زَيْدِ) الْفُرْصَةَ الثَّمِينَةَ لِدِرَاسَةِ أَخْلَاقِ زَوْجِهَا مُحَمَّدٍ ﷺ . فَلَمَّا بُعِثَ بِالْدِينِ الْخَاتَمِ وَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِيمَانِ كَانَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ خَيْرَ سَنَدَيْنِ وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَرْكَانِ الْمَحِيطَةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ .

أولاد النبي ﷺ من السيدة خديجة

تَزَوَّجَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِالْأَمِينِ ، فَتَمَّ هَنَاؤُهَا . وَلَكِنْ صَرَحَ الزَّوْجِيَّةُ مَا زَالَتْ تَنْقُصُهُ رَكِيزَةٌ هَامَّةٌ هِيَ وُجُودُ الذَّرِّيَّةِ الَّتِي تُكْمِلُ أَرْكَانَ الزَّوْاجِ السَّعِيدِ

إِنَّ وُجُودَ الْأَطْفَالِ فِي الْمَنْزِلِ يُضْنِي جَوْاءَ مِنَ الْمَرْحِ وَالْغِبْطَةِ عَلَى الْأَبَوَيْنِ .
وَيُبْعِدُ شَبَحَ الْمَلِكِ مِنْ أَفْقِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ ، وَابْتِسَامَةَ الطِّفْلِ تُنْسِي الْأُمَّ
هُمُومَهَا ، وَالْأَبَ مَشَاغِلَهُ وَتُشْبِعُ الْهُدُوءَ وَالصَّفَاءَ فِي أَنْحَاءِ الْمَنْزِلِ .
وَمَنْ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ السَّعِيدِ بِالنَّعْمَةِ بَعْدَ النَّعْمَةِ بِالْمَالِ وَالْبَنِينَ
وَالْبَنَاتِ .

فَقَدْ حَمَلَتْ خَدِيجَةُ أُولَى الثَّمَرَاتِ الطَّيِّبَةِ لِذَلِكَ الزَّوْاجِ النَّاجِحِ .
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالْحَمْلِ الْأَوَّلِ لَهَا ، وَلَكِنَّهَا كَادَتْ تَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ
عِنْدَمَا شَعَرَتْ بِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ خَيْرِ الْأَزْوَاجِ وَأَشْرَفِ النَّاسِ جَمِيعًا .
وَانْتَشَرَ الْخَبَرُ السَّعِيدُ فِي أَرْجَاءِ مَكَّةَ وَفِي دَوْرِ بَنِي هَاشِمٍ .
وَاسْتَعَدَّتْ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ لَاسْتِقْبَالَ وَلِيدِهَا الْأَوَّلِ مِنْ زَوْجِهَا
الْحَبِيبِ فَأَعَدَّتْ الْقَابِلَةَ وَالْمُرْضِعَ قَبْلَ أَنْ تَلِدَ وَأَعَدَّتْ أَحْتِيَاجَاتِ
الْمَوْلُودِ .

وَحَانَتْ سَاعَةُ الْمَخَاضِ وَتَحَمَّلَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ الْآلَامَ بِصَبْرِ
وَشَجَاعَةٍ . وَتَلَقَّى الْأَمِينُ خَبَرَ قِيَامِ زَوْجَتِهِ بِالسَّلَامَةِ وَرَأَى وَلِيدَتَهُ الْأُولَى .
وَتَلَقَّاها الْوَالِدُ بِالْبَشْرِ وَالتَّرْحَابِ وَرَنَّا إِلَيْهَا بِابْتِسَامَةٍ عَذْبَةٍ وَحَمَلَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ
ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ الْحَبِيبَةِ وَهَنَّاها بِالسَّلَامَةِ ثُمَّ سَمَّاها (زَيْنَب) .
وَذُبِحَتْ الذَّبَائِحُ فَرَحًا وَابْتِهَاجًا بِمَوْلِدِ زَهْرَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَسْلَمَتِهَا أُمُّهَا
لِلْمُرْضِعَةِ عَلَى عَادَةِ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ .

وَبَعْدَ عَامٍ تَقْرِيبًا جَاءَتْ الْابْنَةُ الثَّانِيَةُ فَسَمَّاها الْأَمِينُ (رُقَيْيَةَ) .

ثُمَّ تَلَتْ (زَيْنَبَ) وَ (رُقَيْةَ) الْبُطْلَةَ الثَّلَاثَةَ (أُمُّ كُلثُومَ) ثُمَّ جَاءَتْ
(فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءَ).

وَهَكَذَا رَزَقَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ مِنْ زَوْجِهَا الْأَمِينِ بِأَرْبَعِ زَهْرَاتٍ
نَاضِرَاتٍ أَضَاءَتْ حَيَاتُهَا بِبِشَاشَةٍ وَجُوهِيَّهِنَّ وَطَلَاقَةٍ مُحْيَاهُنَّ .

وَمَضَتْ الْأَعْوَامُ ثُمَّ حَمَلَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ لِلْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ فَابْتَهَلَتْ
إِلَى رَبِّهَا أَنْ يَرْزُقَهَا بَغْلَامًا . وَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَابْتِهَالَاتِ الْأُمِّ الطَّاهِرَةِ
وَجَاءَتْ الْبَشْرَى بِمَوْلَدٍ طِفْلٍ جَمِيلٍ فَفَرَحَ الْأَبْوَانُ فَرَحًا عَظِيمًا وَأَسْمَاهُ
الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ : (الْقَاسِمُ) . وَبَعْدَهُ جَاءَ (عَبْدُ اللَّهِ) وَلُقِّبَ (بِالطَّيِّبِ
وَالطَّاهِرِ) وَقِيلَ إِنَّهُ لُقِّبَ بِهَذَيْنِ اللَّقَبَيْنِ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَسَعِدَتِ الْأُمُّ الْعَظِيمَةُ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى أُسْرَتِهَا يَكْتُمِلُ بَنَاوُهَا وَيَشْتَدُّ
عَوْدُهَا . أَلَمْ تُنْجِبْ مِنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ أَرْبَعَ بَنَاتٍ وَوَلَدَيْنِ ؟ فَأَيُّ شَرَفٍ أَكْثَرُ
مِنْ هَذَا ؟ لَقَدْ قَرَّتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِدَوْحَتِهَا الْمُبَارَكَةِ وَنَسَلِهَا الطَّيِّبِ ،
وَأَخَذَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ الْأَمِينُ يَغْرِسُ فِيهِمُ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةَ وَالصِّفَاتِ
الْحَمِيدَةَ .

الزوج الرسول

اجْتَمَعَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ . وَبَلَغَ هَذَا الْحُبُّ
ذُرْوَتَهُ عِنْدَمَا احْتَكَمَتْ قُرَيْشٌ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِلَى الْأَمِينِ (مُحَمَّدٍ) لِيَضَعَ
الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَكَانِهِ ، فَكَانَ خَيْرَ حَكَمٍ وَخَيْرَ هَادٍ إِلَى الرُّشْدِ
وَالصَّوَابِ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ : وَحَبَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى الْأَمِينِ (مُحَمَّدٍ)
الْخَلْوَةَ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ .
وَقَالَتْ :

إِنَّ أَوَّلَ مَا بُدِيَءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبَوَّةِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ
وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا فِي
نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ .

ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ حِرَاءٍ شَهْرًا مِنْ كُلِّ عَامٍ ، يُقِيمُ
هُنَاكَ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، عَلَى الرَّادِّ الْقَلِيلِ بَعِيدًا عَنْ لَغْوِ أَهْلِ مَكَّةَ
وَلَهْوِهِمْ .

وَكَانَ يُطْعِمُ الْجَائِعَ وَالْمَسَاكِينَ .

وَكَانَ إِذَا انْتَهَى الشَّهْرُ وَنَزَلَ إِلَى مَكَّةَ بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ يَطُوفُ حَوْلَهَا سَبْعًا
أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ
تَعَالَى بِهِ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا ، وَذَلِكَ
الشَّهْرُ شَهْرُ رَمَضَانَ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ
لِلتَّعَبُّدِ ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرَحِمَ الْعِبَادَ
بِهَا ، جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ ، بِنَمْطٍ مِنْ دِيْبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ : فَقَالَ : اقْرَأْ ،
قُلْتُ : مَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي
فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : قُلْتُ مَا أَقْرَأُ . قَالَ فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ .

ثم أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ قَالَ : قُلْتُ : ماذا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَغَنَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ . ثم أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ قَالَ : فَقُلْتُ ماذا أَقْرَأُ ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنَّ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي . فَقَالَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

- سورة العلق -

قَالَ : فَقَرَأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَى فَأَنْصَرَفَ عَنِّي فَكَأَنَّمَا كُتِبَتْ فِي قَلْبِي كِتَابًا . قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطِ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ :

(يَا مُحَمَّدُ . أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . وَأَنَا جِبْرِيلُ) .
وَكَانَ هَذَا إِذْ بَانَ مُحَمَّدًا (الْأَمِينُ) . وَمُحَمَّدًا (الزَّوْج) الْوَفَى .
أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . وَهَدَايَةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ .
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ .

- سورة الأحزاب -

الزوجة المخلصة المجاهدة

انصرفت السيدة خديجة لإدارة بيتها والقيام بأعباء المنزل على كثرتها وإرهاقها وهي جد سعيدة بذلك تقوم به في حب وإخلاص وتفان. وأخذت تُشرف على تربية أولادها. وتقوم برعايتهم وتلبية احتياجاتهم.

وعملت السيدة خديجة كثيرًا لتوفر لزوجها العزيز المكان الهادي وبخاصة بعد أن لاحظت ميله للتحنث وحبه للعزلة والتأمل. وفي يوم من الأيام الخالدة عاد الرسول إلى زوجته يرجف وهو يقول :

«زملوني زملوني» ، دثروني دثروني» .

فاستوضحت منه الأمر .

فقال لها :

يا خديجة لقد خشيتُ على نفسي .

وقالت له الزوجة الحبيبة بملء ثقتها :

(كلا يا ابن العمّ والله ما يُخزيك الله أبدًا أبشِرْ واثبت فإنك تصلُ الرّحِمَ ، وتحملُ الكلَّ ، وتقرى الضيفَ ، وتكسبُ المعدومَ ، وتصدقُ الحديثَ ، وتعينُ على نوائب الحقِّ ، إني لأرجو أن تكونَ نبيًّا هذه الأمة).

وَاطْمَأَنَّ فَوَادُ النَّبِيِّ أَمَامَ هَذَا التَّثْبِيتِ وَعَاوَدَتْهُ سَكِينَتُهُ أَمَامَ تَصَدِيقِ
زَوْجَتِهِ وَإِيمَانِهَا بِمَا جَاءَ بِهِ .

وَخَرَجَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ مَعَ زَوْجِهَا الْحَبِيبِ فَذَهَبَتْ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا
وَرَقَّةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ ،
وَكَتَبَ بِالْعِبْرِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ .
فَقَالَتْ لَهُ :

اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ .
فَقَالَ :

يَا ابْنَ أَخِي مَا تَرَى ؟
فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ وَرَقَةُ :

(أَبْشِرِ يَا مُحَمَّدُ فَهَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُوسَى وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ هَذِهِ
الْأُمَّةُ ، وَلَتَكْذِبَنَّ ، وَلَتَوْذِنَنَّ ، وَلَتُخْرِجَنَّ وَلَتَقَاتِلَنَّ ، وَلَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ
ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ) . ثُمَّ قَبَلَ رَأْسَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ !
فَأَجَابَ وَرَقَةُ :

(نَعَمْ) . لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ لَيْتَنِي أَكُونُ
فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا) .

وعادَ الرسولُ ﷺ ومعه زوجته السيدةُ خديجةُ رضي الله عنها إلى
البيتِ النبويِّ الكريمِ .

وآمنتُ خديجةُ ، فكانت أولَ مُسلمَةٍ دَخَلَتْ في الإسلامِ . وكانت
أولَ مَنْ آمَنَ باللهِ وبرَسُولِهِ ، وَصَدَّقَ بما جاءَ بِهِ . فخَفَّفَ اللهُ بِذَلِكَ عَنْ
نَبِيِّهِ ﷺ . لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ ، فَيُحْزَنُهُ
ذَلِكَ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا ، تُثَبِّتُهُ وَتُخَفِّفُ عَنْهُ ، وَتُصَدِّقُهُ
وَتَهْوُنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

يا خديجةُ ، إِنَّ جَبْرِيلَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ مِنْ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

«اللهُ السَّلَامُ ، وَمِنْهُ السَّلَامُ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَامُ ، وَعَلَى جَبْرِيلَ
السَّلَامُ» .

وَأَخَذَتِ آيَاتُ الْقُرْآنِ تَتَرَى وَتَتَّبَعُ :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ
فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْحَيْنَ بَدَأَ الرَّسُولُ ﷺ حَيَاتَهُ الْجَدِيدَةَ الْحَافِلَةَ بِالْبَرَكَاتِ
وَالْمَشَقَّاتِ .

وَوَقَفَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ إِلَى جِوَارِهِ تُسَانِدُهُ وَتُؤَاوِرُهُ وَتَعَاوُنُهُ .

حوار بين زينب وفاطمة

وفي غبطةٍ وإبتهاجٍ قالتُ زينبُ لفاطمةَ :
(أَوَ مَا يَسْرُكُ يَا أُخْتَاهُ أَنَّكِ بِنْتُ نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟)
وَأَجَابَتْ فَاطِمَةُ :

(كَلَّ السُّرُورُ يَا أُخْتَاهُ !).

وَأَمَنْتُ (زَيْنَبُ) وَ (رُقِيَّةُ) وَ (أُمُّ كُلْثُومٍ) وَ (فَاطِمَةُ) . رِضْوَانُ اللَّهِ
عَلَيْهِنَّ .

خديجة تشترك في الدعوة إلى الله

أَخَذَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِقَوْلِهَا وَعَمَلِهَا .
فَهِيَ الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ الصَّادِقَةُ .
وَهِيَ الْمَرْأَةُ السَّخِيَّةُ الْوَفِيَّةُ .
وَهِيَ الْمَرْأَةُ الشُّجَاعَةُ الْمُهَذَّبَةُ .
وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْفَصِيحَةُ الْبَلِيغَةُ .

وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ جَعَلَتْهَا تَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهَا تَلْقَى
قَبُولًا حَسَنًا .

وَلَقَدْ وَقَفَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَةِ
وَالْمَحَنَةِ .

وَقَفَتْ مَعَهُ عِنْدَ حَصَارِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ مَوْقِفًا كَلَّهُ

حَنَانٍ وَرِفْقٍ ، وَعِزٌّ وَقُوَّةٌ . وَكَانَتْ بِحَقِّ الزَّوْجَةِ الَّتِي تُقَدَّرُ الْأُمُورَ حَقًّا قَدَرَهَا ، وَتَبْدُلُ مِنَ الْعَطَاءِ مَا يُنَاسِبُهَا ، وَكَانَتْ تُوَاظِرُ النَّبِيَّ ﷺ بِكُلِّ مَا تَمْلِكُ مِنْ طَاقَاتٍ .

موت القاسم وعبدالله «الطيب أو الطاهر»

اختار الله ﷻ إلى جواره ابنه مُحَمَّدٌ ﷺ ، وهما الْقَاسِمُ وعبدُ الله ، وَكَانَا فِي وَقْتِ الطُّفُولَةِ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ فَقْدَهُمَا تَرَكَ عِنْدَ الْأَبِ النَّبِيِّ ، وَعِنْدَ الْأُمِّ الْمُجَاهِدَةَ حُزْنًا عَمِيقًا . وَلَكِنَّ الصَّبْرَ وَالِاحْتِسَابَ كَانَا شَأْنَهُمَا دَائِمًا فِي كُلِّ شُغْلٍ الْحَيَاةِ .

السنوات الأولى لدعوة الإسلام

عَاصَرَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْفَتْرَاتِ الْعَصِيبَةَ الَّتِي عَانَاهَا النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ مَمْلُوءَةً بِالْأَهْوَالِ وَالْكَفَاحِ .

رَأَتْ السَّيِّدَةُ (خَدِيجَةُ) أَوَّلَ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ وَهِيَ السَّيِّدَةُ (سُمَيَّةُ) زَوْجَةُ (يَاسِرٍ) وَأُمِّ (عَمَّارٍ) . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَتَرَكَ هَذَا الْمَنْظَرَ أَثْرًا كَبِيرًا فِي نَفْسِ الْمُجَاهِدَةِ الْكَبِيرَةِ .

وَشَاهَدَتِ الْمُسْلِمِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْمُجَاهِدَاتِ وَهُمْ يُهَاجِرُونَ الْهَجْرَةَ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَكَانَ فِيهِمْ بَنَاتُهَا (رُقِيَّةُ) زَوْجَةُ (عُثْمَانُ) بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ زَوْجَتِهِ .

وكان لهذا المنظر أيضاً ولهذا الدواعِ أثر كبير في نفس المُجاهدة الكبيرة .

وشاهدت المسلمة المُبتلاة «زينة» ، وكيف فقدت بصرها بسبب تعذيب الكفار لها ، وكيف صبرت واحتسبت ثم كيف انتهجت عندما ردَّ الله عليها بصرها بسبب إيمانها وتوكلها على الله حق التوكل .

وكان لهذا المنظر أثر كبير في نفس المُجاهدة الكبيرة .

وشاهدت الأثر العظيم الذي تركه إسلام حمزة بن عبدالمطلب ، والأثر العظيم أيضاً الذي أوجده إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان لهذا كله أثر كبير في نفس المجاهدة الكبيرة .

وشاهدت قبل ذلك كله وبعد ذلك كله زوجها الوفى الأمين رسول الله ﷺ وهو يدعو إلى الله سراً أول الأمر ثم يصدع بما يؤمر بعد ذلك ، ثم يتعرض للبلاء وهو صابر ثم يزداد البلاء فيزداد صبره ، ويزيد الإغراء فيزيد رفضه .

ويقسم هذا القسم المؤكد :

(والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

وتزداد السيدة خديجة ثباتاً على ثباتها ، وتأكيداً على تأكيدها ، فتقف بجوار رسول الله ﷺ في النعماء والبأساء راضية مطمئنة ، صابرة مُحسنة .

ولكن حصارَ المسلمين ومَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ في شِعبِ أُمي طَالِب
 هذه الْفَتْرَةُ الْقَاسِيَةُ مِنَ الزَّمَنِ ، ضَاعَفَ الْآلَامَ فِي نَفْسِ الْمَجَاهِدَةِ
 الْكَبِيرَةِ ، فَزَادَتْ ضِرَاعُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُفَرِّجَ الْكَرْبَ عَنْ
 الْمُسْلِمِينَ ، وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ ، وَأَنْ يُؤَيِّدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَيُقَوِّيهُ عَلَى
 مُوَاصَلَةِ دَعْوَةِ الْحَقِّ وَمُقَاوَمَةِ الْكُفَّارِ الطُّغَاةِ .

وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَجِدُ أَكْثَرَ السُّلُوبِ وَأَرْوَعَ
 آيَاتِ التَّثْبِيتِ فِي الْإِيمَانِ الَّذِي تَسْتَمْلِكُهُ مِنْ زَوْجِهَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي
 آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي كَانَتْ تَتَّبَعُ فِي النُّزُولِ فَيَزِدَادُ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا وَهَدًى
 وَيَقِينًا .

* * *

اللحظات الأخيرة

وَأَحْسَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمُقَدِّمَاتِ الْمَوْتِ
 تَتَجَمَّعُ .

مَرَضَتْ وَلَا زَمَتِ الْفِرَاشَ ، وَاجْتَمَعَ حَوْلَهَا بَنَاتُهَا الثَّلَاثُ :
 (زَيْنَبُ) وَ (أُمُّ كُلْثُومَ) وَ (فَاطِمَةُ) ، أَمَّا بَنَتُهَا الرَّابِعَةُ السَّيِّدَةُ (رُقَيْةُ)
 فَكَانَتْ فِي الْحَبَشَةِ .

وَنَظَرَتِ السَّيِّدَةُ (خَدِيجَةُ) إِلَى زَوْجِهَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النَّظْرَةَ
 الْأَخِيرَةَ .

ولا شك أنها كانت لحظة عميقة الحزن . شديدة الأسى .

ولكن رسول الله ﷺ بشرها باللقاء معها في الجنة .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ . ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

— سورة الحديد —

وهطلت دموع الرحمة من النبي ﷺ وفاض قلبه بالحزن العميق .
وبكت زينب وأم كلثوم وفاطمة مع المؤمنات الصابرات
الممختصات .

وفقدت مكة سيّدة نساء زمانها : السيّدة خديجة بنت خويلد .
وذهبت النفس مطمئنة إلى ربّها في الوقت المعلوم وبعد انتهاء
الأجل المحتوم .

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي
فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ .
وتوفيت السيّدة خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات
تقريباً .

* * *

وَكَانَ مَوْتُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ وَأَبِي طَالِبٍ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، وَلِهَذَا سَمَّاهُ
الرَّسُولُ ﷺ عَامَ الْحُزْنِ .

وَتَتَابَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَصَاعِبُ بِمَوْتِ خَدِيجَةَ وَعَمَّهُ
أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ لَهُ عَضُدًا ، وَحِرْزًا فِي أَمْرِهِ ، وَمَنْعَةً وَنَاصِرًا عَلَى قَوْمِهِ .
وَنَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ أَذَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُهُ فِي خِيَاةِ
خَدِيجَةَ وَعَمَّهُ أَبِي طَالِبٍ .

وَكَانَ عُمُرُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عِنْدَ الْوَفَاةِ خَمْسَةً وَسِتِّينَ عَامًا . وَدُفِنَتْ
بِالْحُجُونِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا .

وفاء النبي ﷺ

انْتَقَلَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى جَوَارِ رَبِّهَا وَلَكِنْ طَيَّفَهَا بَقِي
فِي أَرْكَانِ مَزَلِّهَا الْعَظِيمِ الَّذِي شَهِدَ أَعْظَمَ أَحْدَاثِ الْإِسْلَامِ .
وَخَلَقَتْ لَدَى زَوْجِهَا الْحَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبَ الْآثَارِ وَأَعْظَمَ
الذِّكْرِيَّاتِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ مَائِلَةً أَمَامَ عَيْنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى مَعَ
زَوْجَتِهِ الشَّابَّةِ الْحَسَنَاءِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ جَاءَ عَلَى
لِسَانِهَا :

(مَا كُنْتُ أَغَارُ مِنْ زَوْجَةٍ مِثْلًا كُنْتُ أَغَارُ مِنْ خَدِيجَةَ مَعَ أَنِّي لَمْ
أَذْكُرْهَا لِكَثْرَةِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهَا) .

وقد ثبت أن الرسول ﷺ لم يتزوج على السيدة خديجة رضي الله عنها في حياتها .

وعندما قالت له السيدة خولة بنت حكيم :
(كأنك يا رسول الله تجد لفراق خديجة بنت خويلد وحشة؟) .
أجابها :

(أجل والله ، كانت ربة البيت وأم العيال) .
وعندما عرضت عليه الزواج سأل في رفق :
(ومن بعد خديجة؟) .

ولم تستطع السيدة (فاطمة) وأختها (أم كلثوم) أن تمحوا حزن أبيهما على أمهما بتفانيهما في خدمته ورعاية شؤنيه وإن خففنا عنه بعض ما يجد من حدة الفراق .

وكان رسول الله ﷺ يذكر السيدة خديجة فيقول :
(آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقني إذ كذبني الناس ، وواستني
بإيها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء) .
وكان ﷺ إذا ذبح شاة قال :
(أطعموا صديقات خديجة) .

ويروى لنا سيدنا عبد الله بن عباس فيقول :
(خير نساء العالمين أربعة : مريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم

أَمْرًا فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ .
 وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَمْرًا كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَيْهِ أَيَّامَ خَدِيجَةَ
 هَشَّ لَهَا وَبَشَّ وَسَرَّ لِرُؤُوسِهَا ثُمَّ يَقُولُ :
 أَكْرَمُوهَا فَقَدْ كَانَتْ خَدِيجَةُ تُحِبُّهَا .
 ذَلِكَ هُوَ الْوَفَاءُ النَادِرُ الَّذِي تَمَتَّعَتْ بِهِ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي
 قَلْبِ زَوْجِهَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ إِلَى آخِرِ لِحَظَاتِ حَيَاتِهِ .
 رَحِمَ اللَّهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدِ الزَّوْجَةَ الْوَفِيَّةَ ، وَالْمُؤْمِنَةَ التَّقِيَّةَ ،
 وَالْكَرِيمَةَ السَّخِيَّةَ - آمِينَ .

* * *

بناتها

١ - السَّيِّدَةُ (زَيْنَبُ) بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ
 أَكْبَرُ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَ مِنْهُنَّ .
 وُلِدَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِعَشْرِ سِنِينَ وَتَزَوَّجَهَا ابْنُ خَالَتِهَا
 أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ .
 وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ .
 أَسْلَمَتْ السَّيِّدَةُ (زَيْنَبُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ أُمِّهَا السَّيِّدَةِ (خَدِيجَةَ)
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَهَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ .
 فَلَمَّا أَسْلَمَ زَوْجُهَا فِي الْمُحَرَّمِ مِنَ الْعَامِ السَّابِعِ مِنْ هِجْرَةِ

النبي ﷺ رَدَّ الرَّسُولُ ﷺ زَوْجَتَهُ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَيْهِ .
وَكَانَ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَهَا الْإِسْلَامُ .

وَقَدْ أَنْجَبَتِ السَّيِّدَةُ (زَيْنَبُ) مِنْ زَوْجِهَا أَبِي الْعَاصِ (عَلِيًّا) وَمَاتَ
فِي حَيَاةِ وَالِدِهِ . وَ (أُمَامَةُ) عَاشَتْ حَتَّى تَزَوَّجَهَا الْإِمَامُ (عَلِيٌّ) كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ بَعْدَ السَّيِّدَةِ (فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَتُوفِّيَتِ السَّيِّدَةُ (زَيْنَبُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَوَائِلِ الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ
الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ . وَقَدْ حَزَنَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَزَوْجُهَا . ثُمَّ تُوُفِّيَ
زَوْجُهَا بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ .

* * *

٢ - السَّيِّدَةُ (رَقِيَّةٌ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ

وُلِدَتْ بَعْدَ أُخْتِهَا زَيْنَبَ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ .
تَزَوَّجَتْ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ ثُمَّ فَارَقَهَا بَعْدَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَ بِهَا ..

ثُمَّ تَزَوَّجَتْ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ سَيِّدَنَا عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَهَاجَرَتْ مَعَهُ الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَقَدْ مَرَضَتْ قَبْلَ خُرُوجِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ .
وَقَدْ تُوفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَثْنَاءِ الْغَزْوَةِ الْعَظِيمَةِ وَحَزَنَ
الرَّسُولُ ﷺ عَلَيْهَا وَزَوَّجَهَا حُزْنًا عَظِيمًا .

٣ - السيدة (أم كلثوم) بنت النبي ﷺ

هَاجَرَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ أُخْتِهَا فَاطِمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .
وَتَزَوَّجَتْ سَيِّدَنَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بَعْدَ وَفَاةِ أُخْتِهَا (رُقِيَّةَ) سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ
الْهِجْرَةِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَلَمْ تُنَجِبْ مِنْهُ .
وَتُوفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ .

* * *

٤ - السيدة (فاطمة) بنت النبي ﷺ

وُلِدَتْ قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ فِي يَوْمِ التَّحْكِيمِ عِنْدَ بَنَاءِ الْكَعْبَةِ ،
وَكَانَتْ تُقَلَّبُ بِالزَّهْرَاءِ وَقَدْ هَاجَرَتْ مَعَ أُخْتِهَا أُمِّ كُلْثُومٍ إِلَى الْمَدِينَةِ
الْمُنَوَّرَةِ .

وَكَانَتْ صُغْرَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحَبَّهُنَّ إِلَيْهِ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَاطِمَةُ) .
وَقَدْ تَزَوَّجَهَا الْإِمَامُ (عَلِيٌّ) بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَلَمْ يَتَزَوَّجْ
عَلَيْهَا حَتَّى تُتُوفَّى .

وَقَدْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ : (الْحَسَنَ) وَ (الْحُسَيْنَ) سِبْطَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَرِيحَانَتَهُ وَسَيِّدَى شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَ (مُحَسِّنًا) وَقَدْ تُوفِّيَ صَغِيرًا
وَ (زَيْنَبَ) الْكُبْرَى وَ (أُمِّ كُلْثُومٍ) .
وَأَنْقَطَعَ نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مِنْ فَاطِمَةَ .

وَتُوفِّيَتِ السَّيِّدَةُ (فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ
فَحَزَنَ عَلَيْهَا الْإِمَامُ عَلَى حُزْنٍ شَدِيدٍ .

وَسَنَفَرْدُ لَهَا رِسَالَةً قَادِمَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .
وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ (الْقَاسِمَ) وَ (عَبْدَ اللَّهِ) أَبْنَى النَّبِيَّ ﷺ مَا تَا فِي
الطُّفُولَةِ .

أَمَّا وَلَدُهُ (إِبْرَاهِيمُ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنَ السَّيِّدَةِ (مَارِيَةَ) الْقِبْطِيَّةِ
تُوفِّيَ فِي حَيَاةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

* * *

أُمّ حَبِيبَةَ

أُمّ الْمُؤْمِنِينَ
رَمْلَةُ بَنْتِ أَبِي سَفْيَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(توطئة)

ما أخرج مسلمات اليوم (فتيات ونساء) أَنْ يَقْرَأْنَ سيرة «المسلمات المؤمنات» لِيُدرِكنَ البَوْنَ الشاسعَ بَيْنَهُنَّ وبين الرعيلِ الْأَوَّلِ الذي تحمّل مسؤوليته في حياة الأمة كاملةً ، وأدّى قسطه من الواجب كاملاً ، والذي ما كان يُلهيه عن جدّية الحياة زُخْرُفٌ أو بَهْرَجٌ ، بل اضطلع بالعِبءِ يجاهد الفتنة والزَّيغ والضلال .

فكانت حياتهنّ - رضى الله عنهن جميعاً - مصابيح تشعُّ هُدىً ونوراً فتضيء الكون كله ، وتعطره شذى طيب النشْرِيلفه من أقصاه إلى أقصاه أزلاً وأبداً .

لقد كنّ في ميدان الإيمان أَصْلَبَ من شُمم الجبال .
وكنّ في بيوتهنّ (زوجاتٍ وأمّهاتٍ) أخلدَ من التاريخ .
وكنّ في مرافق العلم والمعرفة أساطين لصروحٍ شامخة .
وكنّ في ساحات النضال والوغي فارساتٍ فُقُن الرجالَ إقداماً .
فإليكِ يا فتاتى نسوقُ المثلَّ والعبرة ، وما يعتبر إلا أولو الأبصار .

(في بيت أبي سفيان)

وُلِدَتْ «رَمْلَةٌ» في العام الخامس والعشرين قبل الهجرة ، أى قبل مبعث النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة .
والدها أبو سفيان (ضخر بن حرب بن أمية) ، جمعت إلى رفعة

النسب والحسب ، الغنى الوافر والجمال الباهر ، فكانت محط الأنظار ، وودَّ أكثر الشباب المكي أن يتخذها زوجةً له ، وتنافسوا عليها ، وكان لمكانة والدها وزعامته في قريش أثر كبير في تلك الرغبة التي تملكَّت الشبان .

وجاءها «عبيد الله بن جحش» خاطبًا ، وكان شابًا مرموقًا يتمتع بالوسامة ، والجاه العريض ، والحسب الرفيع ، أضاف إلى ذلك تضلعه في علوم الديانات وأصولها ، فقد كان مُلازمًا لورقة بن نوفل الذي كان قاب قوسين أو أدنى من التنصُّر ، والذي كان من مُتَحَنِّي الجاهلية ، راغبًا عن عبادة الأصنام والأوثان ، كارهاً لها ، مستخفًا بأصحابها . فقبله «أبو سفيان» وزوجه من «رملة» .

(في بيت الزوجية)

كانت «رملة» فتاة قُرَشِيَّة ناضجة الفكر ، عاقلة مدركة ، على قسطٍ وافرٍ من العلم والمعرفة ، تقرأ وتكتب ، فكانت مع زوجها «عبيد الله» على خير ما يكون الزوجان تفاهمًا ومحبةً ، إن عرض لأمرٍ من الأمور أبدت رأيًا ناضجًا وحكمًا صائبًا .

ومضت بهما الأيام ... حتى كانت نبوة «محمد بن عبد الله ﷺ» ، وتأثر بها «عبيد الله» تأثرًا سطحيًا لامسَ بعض جوانب نفسه ، إذ خضع لمؤثرات قرابته من رسول الله ﷺ ، وللکلمات التي مدح بها «ورقة بن نوفل» نبوة «محمد» .

(إلى الحبشة)

هاجر «عبيد الله» إلى الحبشة ومعه زوجته «رملة» مع من هاجر من المسلمين . وما كادت قدماه تَطَأُ أرض «النجاشي» حتى عاوده الحنين إلى الماضي ، إلى بعض نصرانيته التي كان عليها .

وحدث أن استيقظت «رملة» يوماً على نُحْلَمٍ مُزعجٍ رهيب ، فقد رأت زوجها «عبيد الله» بوجهٍ غير وجهه الحقيقي ، رآته دميماً بعد أن كان وسيماً . وقبيحاً بعد أن كان جميلاً فاستعازت بالله من ذلك . وبينما هي في شئونها الخاصة مُنْشَغَلَةٌ أَتَاهَا «عبيد الله» مُعَلِّناً نصرانيته داعياً إياها إلى مشاركته ، فَأَبَتْ واستكبرت ولاذت بإيمانها . وأدركت مغزى النُحْلَمِ الذي رآته في ليلتها ، فحدثت «عبيد الله» بذلك ودَعَتْهُ إلى الثبات على الإيمان والإسلام . فرفض وأَصَرَ على الرفض . وخرج إلى جماعة المسلمين يقول لهم : فَقَحْنَا وصَاصَاتُمْ أَي أَبْصَرْنَا وَأَنْتُمْ مَا زَلْتُمْ تَلْتَمِسُونَ الْبَصَرَ وَلَمْ تُبْصِرُوا بعد .

وَأَكْبَّ على الخمر يعبُّ منها حتى الثمالة . واستمرَّ على ذلك أياماً حتى قضى .

(الأرملة المهاجرة)

وقضت «رملة» أَيَّامَهَا في ديار الهجرة بين عذابين : عذاب البُعدِ عن الأهل والوطن ، وعذاب الترمُّلِ وفقد المعيل . ولكنها بما أُوتيت

من إيمانٍ عظيم استطاعت أن تصمد في وجه المحنة . كما لقيت من إخوانها
المسلمين كُلِّ عَوْنٍ وسندٍ

(الرسول الخاطب)

عندما بعث رسول الله ﷺ كتبه إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى
الإسلام بعد هجرته إلى المدينة ، لم ينس الرسول العظيم في رسالته إلى
النجاشي أن يذكر «رملة» بخير ، وأى خير أعظم من أن يخطبها لنفسه
مواسياً لها في غربتها ، مُعزِّياً لها في ترمُّلها ؟

لقد حمل «عمرو بن أمية الضمري» إلى «النجاشي» ملك الحبشة
كتاب رسول الله ﷺ الذي يدعو فيه إلى الإسلام وقد ضمَّنه طلباً
كريماً هو أن يخطب له النجاشي «رملة بنت أبي سفيان» . فقبل النجاشي
مهمة الخاطب وأرسل إلى «رملة» إحدى جواريه وتُدعى «أبرهة» تحمل
إليها النبأ السعيد . فصاحت «رملة» قائلة :
- بِشْرِكِ اللَّهَ خَيْرًا . . .

ثم وكَلَّتْ عنها «خالد بن سعيد بن العاص» لإتمام الزيجة ، فلما كان
المساء من ذلك اليوم ، دعا «النجاشي» المسلمين إليه وخطب فيهم
فقال :

- لقد كتب إلي «محمد» أن أزوجه «أم حبيبة» «رملة بنت
أبي سفيان» فأجبت إلى ما دعا إليه وأصدقته أربعائة دينار .

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، عندئذٍ نهض وكيّلها
«خالد بن سعيد» وقال :

— الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما
بعد ، فقد أُجبت إلى ما دعا إليه رسولُ الله وزوجته من «رملة» (أم
حبيبة) فبارك الله لرسول الله ...

ثم دُفعت الدنانير لخالد فقبضها ، ولما أراد القوم الانصراف قال لهم
«النجاشي» :

— اجلسوا فسنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يقدموا الطعام لمن حضروا
الزواج .

ثم دعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا ...

* * *

لقد استطاع رسول الله ﷺ بحكمته أن ينال بهذا الزواج أموراً
كثيرة ، ويحقق أغراضاً عظيمة وأهدافاً سامية .
فبالإضافة إلى المواساة التي لقيتها «أم حبيبة» فاستكانت نفسها بعد
قلق ، وهدأت بعد اضطراب ، فقد نال رسولُ الله ﷺ فتحاً عظيماً
على أكبر عدو له ولدينه ، على والدها «أبي سفيان بن حرب بن أمية»
الذي كان يترأس كل مؤامرة ومعركة ، ويتزعم كل جيش :

ولقد قال «أبو سفيان» عندما علم بأمر هذه الزيجة :
- هذا الفحل - محمد ﷺ - لا يُجَدَعُ أَنفَهُ .

وهكذا كان رسولُ الله ﷺ يقضى الأمور بحكمةٍ عالية وهمة سامية ، لم تكن لتتحرك فيه إلا رغبتهُ في الحفاظ على وَحْدَةِ المسلمين وتماسكهم ومواساتهم والانتصار لهم . فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم .

(أم المؤمنين) في بيت النبوة

ولما كان يوم فتح «خيبر» وصل وفدُ المهاجرين من الحبشة بعد طول غياب فقال رسول الله ﷺ :

- بماذا أفرح ؟ بفتح «خيبر» ، أم بقدوم «جعفر» ؟

وكانت «أم حبيبة» رضى الله عنها مع الوفد القادم ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، وأقامت في بيته زوجةً تقدر مسئوليتها ، وتحفظ مكانتها ، وتحرص على إسعاد زوجها ؛ وعرف لها رسولُ الله ﷺ قدرها فأغدق عليها من فيض حنانه وحبّه ، ورعايته وعطفه .

(مع أبي سفيان وجهًا لوجه)

وليس أدل على وفائها وإيمانها ودينها من تلك الحادثة المشهورة في حياتها ، إذ قُدِّر لها أن تواجه والدها «أبا سفيان» وجهًا لوجه ؛ هي مؤمنة وزوجة للنبي ﷺ وهو كافر مشرك ، سيد قریش بلا منازع ، له رهبةٌ وهيبةٌ .

ولكنها رضى الله عنها - تقف منه موقف الند للند ؛ لا تخشى أذاه
ولا سطوته ، ولا تجزع من سلطانه وجبروته ؛ تعرفه مكانته بين الإيمان
والكفر بمنتهى رباطة الجأش والسكينة ، وتقول بالفم الملان :

أبي الإسلام لا أب لى سواه

إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

وتعلن أن ولائها لله تعالى ولرسوله لا لأحدٍ سواهما .

فقد حدث بعد فترة من عقد رسول الله ﷺ مع وفد قريش صلح
«الحديبية» أن نقض حلفاء قريش (بنو بكر) هذا الصلح ، فجاء أحد
(بنى خزاعة) حلفاء النبي ﷺ مستجيرًا به ، فوعده خيرًا وطمأنه .
وأدرك «أبو سفيان» ، زعيم قريش مغبة الأمر ، واستشعر في نفسه
خطورته فجهز نفسه وقصد إلى المدينة المنورة ليثبت مع رسول الله ﷺ
العقد ويمدده .

فلما انتهى إلى المدينة دخل على ابنته «أم حبيبة» يوسطها لدى رسول
الله ﷺ ، ثم أراد أن يجلس على فراش النبي ، فطوته عنه ، فقال لها :
- يا بنية ، ما أدرى أرغبتى من هذا الفراش ، أم رغبتى به عني ؟
فأجابته قائلة :

- بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجلٌ مُشركٌ نجس ، ولم أحبَّ
أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ

فقال لها :

- والله لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بعدى شرٌّ...

فقالت :

- بل هداى الله للإسلام ، فأنت يا أبتِ سيدُ قريش وكبيرُها ،
كيف يسقطُ عنك الدخولُ في الإسلام ، وأنت تعبد حجراً لا يسمعُ
ولا يُبصر...

استمع إليها وهو يكاد يتميَّز من الغيظ ، ثم خرج غاضباً ، فقصد
إلى النبی ﷺ فصَدَّه ولم يقبل وساطته ، وهكذا عاد «أبوسفيان» إلى
مكة فاشلاً وقد عابته زوجته «هند بنت عتبة» قائلة :
- قُبِّحت من سفير قوم ، فما جئت بخير .

مع (أم حبيبة)

.. إنها وقفة إجلالٍ وإكبارٍ نقفها أمام أم المؤمنين «أم حبيبة» نحى
فيها صلابَة إيمانها ، وقوة إسلامها ، وعظْمَة شخصيتها ، ونقدّر فيها
سموها وارتفاعها عن قِيم الجاهلية التي تعارف الناس عليها ، وتعاملوا فيما
بينهم على أسسها ، فإذا بأم حبيبة تنفضُها دفعة واحدة وترمى بها في
وجوه أصحابها ، فلا تعتمد إلا على الله ، ولا تثق إلا بالله ، ولا تلجأ
إلا إليه ، ولا تقيم لنسبٍ وزناً إلا لنسب الإيمان والإسلام ، رضى الله
عنها وأرضاها .

وهكذا المؤمن الحق ، لا يعرف صلة إلا صلة الإيمان والإسلام .
وحين علّم النبي ﷺ بما كان بين أم حبيبة ووالدها ازدادت قيمتها
في نظره ، وسمت مكانتها في قلبه ، فبالغ في إكرامها وتقديرها كفاء
ما قدرته وعظمت حرمة الدين وحرمة بيت النبوة .

* * *

(بعد رسول الله ﷺ)

وبعد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى أقامت «أم حبيبة»
في بيتها وفيّةً لذكرى رسول الله .
وعرف لها الناس جميعاً (سادة ومسودين) مكانتها ومقدارها
فاحترموها وعظّموها ، وفاءً منهم لنبيهم صلوات الله وسلامه عليه .
فكان الخلفاء يأتونها زائرين ، ويصلونها بالمال الذي يكفيها مؤونة
الحاجة وذلّ السؤال .

وكم من فتنةٍ حدثت إلا أنها لم تشارك فيها لا بالقول ولا بالفعل ،
ولم تنطق بكلمةٍ يُشتمُّ منها تحيزٌ لفريق دون فريق ، بل حرصت كل
الحرص على أن تقول الكلمة الطيبة التي تدعو إلى وحدة صف المسلمين
والتفافهم حول الدين واعتصامهم بالله ، واستمسكهم بحبله المتين .
وروّت ما سمعت من حديث رسول الله ﷺ فأسهمت في تنمية
التراث العلمي الإسلامي .

لقد كانت «رضى الله عنها» سيدةً جليلاً بكل ما فى الكلمة من معنى ، وقُورَةً هادئة . لا يستخفها أمرٌ أو حدثٌ مهما بَلَغَ عنفه أو فاعليته .

* * *

(الوفاة)

لم تكن تخرج رضى الله عنها من بيتها إلا لصلاة ، ولم تكن تترك المدينة إلا لحجٍّ ، ولما كان العامُ الرابعُ والأربعون من الهجرة أَحَسَّتْ «أُمُّ حَبِيبَةَ» بالضعف يسرى إلى أوصالها ، والوَهْنِ يتمشى فى كيانها . كيف لا ، وقد شارفت على الانتهاء من العقد السابع من عُمرها . وما هى إلا أيام حتى توفاهها الله سبحانه وتعالى فدفنت بالبقيع . رضى الله عنها وأنزلها منزلاً مباركاً طيباً ، وألحقنا بها فى زمرة عباده الصالحين .

* * *

أُمّ سلمة

أُمّ المؤمنين
هند بنت أبي أمية
رضي الله عنها

١ - قالت «أم سلمة» رضى الله عنها :
«والله ما أعلم أهل بيْتٍ في الإسلام أصابهم ما أصاب آل (أبي

سلمة) ..»

٢ - (... وجاء أمر الله إلى نبيه ورسوله بأن يضم «أم سلمة» إلى أمهات المؤمنين ويرفع مكانتها ، فأرسل من يخطبها ، وكان رسوله إليها «حاطب بن أبي بلتعة» فقال له :

«مرحباً برسول الله ﷺ .. ولكن أبلغه عنى أنى امرأة مُسنّة . وأمّ أيتام .. وأنى فوق ذلك شديدة الغيرة .

فأرسل إليها الرسول ﷺ يقول :

أما قولك : إنك امرأة مُسنّة فأنا أسنُّ منك ولا يُعابُ على المرء أن يُقال تزوّجَ أسنَّ منه .

وأما قولك : إني أمّ أيتام ، فإن كلهم على الله ورسوله .
وأما قولك : إني شديدة الغيرة ، فإنى أدعو الله أن يذهب عنك

ذلك).

* * *

(توطئة)

قال تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ .
لقد كان «عبدالله بن عبد الأسد» المخزومي «أبو سلمة» من

الصف الأول الذين صدّقوا الله وعهدهم ، وفقضى نحبته في سبيله تعالى مكافحاً صابراً مُحْتَسِباً .

وكانت زوجته «أم سلمة» من الصف الثاني المنتظر قضاء الله وقدره ، إذ تحمل الزوجان من صنوف العذاب أقساها ، ومن البشدة أعنفها . هجرة وتشرّداً وقتالاً . فما لانت عزيتهما وما خارت قواهما . وما استسلا أبداً لطغيانٍ أو ظلم .

ولقد مرّا (رضى الله عنهما) بتجربة قاسية مريرة لو أنزلت على شم الجبال لهدتّها ، وعلى الصّخور الصلدة لفتتّها ، ولكن نفسيهما المؤمنتين بالله المستمسكتين بحبله كانتا أصلب من الفتنة وأقوى من التنازل . إذ كان حبُّ الله وحبُّ رسوله أثر عندهما من كلِّ عرضٍ زائلٍ أو قيمةٍ دُنْيَوِيَّةٍ زائفة .

كانت «العقيدة» عندهما أغلى وأشرف من (المال والبنين).

وهكذا المؤمن الحق ...

رضى الله عنهما وأرضاها وأنزلهما منزلاً كريماً مباركاً .

سهيل «زاد الركب» المخزومي

كان «سُهَيْلُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مَخْزُومٍ» سَيِّدَ قَوْمِهِ بِلَا مَنَازِعَ ، وَأَغْنَاهُمْ بِلَا مَنَافِسَ ، عُرِفَ بِالكَرَمِ وَالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَلُقِّبَ بـ «زَادِ الرِّكْبِ» لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا سَافَرَ لَمْ يَحْمِلْ مَنْ يَكُونُ بِرَفْقَتِهِ زَادًا بَلْ كَانَ يَكْفِي الْجَمِيعَ

ذلك ، ويغضب إن هم حَمَلُوا مَعَهُمْ شَيْئًا من الطعام والنفقة .
من صُلِبَ هذا السخىّ الكريم وُلِدَتْ «هِنْد» أمُّ سلمة ، فَحَمَلَتْ
من صفات أبيها ما جعلها في صِبَاها وشيخوختها موضعَ احترام الناس
جميعًا وتقديرهم .

فرغها «عبدالله بن عبد الأسد» المخزومي زوجةً لَهُ وبني بها . وهنئ
مَعَهَا ، فكانت الزوجة الصالحة الوفية المطيعة . تقوم بشئون زوجها خير
قيام . تحترمه وتقدره وتوفّر لَهُ الجوّ المتزلّى الذى يسريحُ إِلَيْهِ ..
لقد كانت (رضى الله عنها) مُنْذُ أَيَّامِ زواجها (زوجةً) بكل ما فى
كَلِمَةِ الزَّوْجَةِ مِنْ حَقِيقَةٍ ، رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهَا وحدائِرِ عُمْرِهَا ، فقد كانت
تتمتع بنضجٍ يحسُدُّها عليه كبار السنِّ مِنْ عرَكتهم الأَيَّامِ وجربتهم
الأعوام .

* * *

البيت المسلم

آمن «أبو سلمة» بمحمدٍ ﷺ وبدعوته بعد أن سمع عنها وفقهها
وأدرك ما تنطوى عليه من مُثُلٍ وقيمٍ . وآمنت معه زوجةً «أم سلمة» ،
فكانا من الرّعين الأول الذين قامت على جهادهم وتضحياتهم دَعْوَةُ
الإسلام ، وأضاءت بنورها العالم قاطبةً .
كان «أبو سلمة» شابًا ممتلئًا حيويّةً وأنفّةً . ولم يكن من الطّرز الذى

يُخْفِي دِينَهُ تَقِيَّةً ، فَكَانَ يُجَاهِرُ بِدِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ مُتَحَدِّيًا ، فَلَقِيَ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ نَصَبًا وَعَذَابًا وَحَرْمَانًا .

فَلَمَّا أُذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ فَرَارًا بِدِينِهِمْ وَحَرَصًا عَلَى عَقِيدَتِهِمْ ، شَدَّ «أَبُو سَلَمَةَ» وَ «أُمُّ سَلَمَةَ» الرَّحَالُ .
وَأَقَامَا فِي أَرْضِ (النَّجَاشِيِّ) مَا شَاءَ لهما اللهُ تَعَالَى أَنْ يُقِيمَا ، حَتَّى كَانَ إِسْلَامُ «حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ» وَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .
فَعَادَا إِلَى (مَكَّةَ) مَعَ مَنْ عَادَ .

عَادَا وَقَدْ اسْتَبَدَّ بِهِمَا الشَّوْقُ إِلَى الْوَطَنِ ، وَأَرْقَاهَا طَوْلُ الْبُعَادِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ . وَبَرَّحَ بِهِمَا الْحَنِينُ إِلَى طَلْعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَذُوبَةِ حَدِيثِهِ . وَرِقَّةَ كَلَامِهِ ، وَحَذْبِهِ الشَّدِيدِ وَعَظْفِهِ الْكَرِيمِ .

* * *

فِي حِلْفِ أَبِي طَالِبٍ

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَدْخُلَ الضَّعِيفُ مِنْهُمْ فِي حِلْفِ الْقَوَى .
فَيَطْلُبُ حِمَايَتَهُ مِمَّنْ يَرِيدُونَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ أَوْ التَّخْلُصَ مِنْهُ .
وَحِينَ رَجَعَ بَعْضُ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَى مَكَّةَ رَجَعَ مَعَهُمْ «أَبُو سَلَمَةَ» وَلَكِنِ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ بِطُشْرِ قُرَيْشٍ لِحَا إِلَى أَبِي طَالِبٍ عَمِ النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ فِي حِمَاهُ وَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَأَجَارَهُ أَبُو طَالِبٍ وَمَنَعَ قُرَيْشًا مِنْ إِيْذَانِهِ .

فبشئ رجال من بني مخزوم (أهل أبي سلمة) إلى أبي طالب وقالوا له :

- يا أبا طالب ، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً . فما لك ولصاحبنا تمنعنا منا ؟

فقال :

- إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وأنا إن لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي .

عندئذ قام أبو لهب وقال :

- يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تؤثبون عليه في جواره من بين في قومه ، والله لتتھنَّ عنه أو لنقومنَّ معه في كلِّ ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد .

حينئذ أدرك الحاضرون أنَّ موقفهم أصبح ضعيفاً لتخاذل أبي لهب عن نصرتهم ، وصمود أبي طالب في وجههم ، فارتدوا على أعقابهم خاسرين . لم يكن موقف أبي لهب هذا مكرمةً تُسجلُ له لأنه لم يتبعه بأى عملٍ أو فعلٍ يصدِّقه ، بل كان تصرفاً سياسياً يريد من خلاله الإبقاء على زعامته وسطوته .

المهاجرون الأوائل

أقام المسلمون بمكة مستضعفين حتى أُذن الله تعالى لدينه أن

يؤمنَ به نَفَرٌ من أعراب المدينة (يثرب) ، وقد أصبحت بعد مرور زمنٍ يسير لا يزيد عن السَّنَةِ إِلَّا قَلِيلًا موثلاً لدعوة الله ، ومنطلقاً للتبشير بكلمته .

فما أن آمن أولئك النفر القلائلُ حتى تكاثروا أضعافاً خلالَ عامٍ واحدٍ ، وابتعث النبي ﷺ معهم الداعيةَ الأول (مُصْعَبُ بن عمير) رضى الله عنه يعلمهم أمور دينهم ويبشر بالدين الجديد في بيوت يثرب ودورها ونواديها .

ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن بايعه زعمائها وسادتها على نُصرة دين الله .

ولترك الحديثَ لأم سلمة رضى الله عنها تحدثنا بلسانها عن مراحل هجرتها مع زوجها (أبي سلمة) إلى المدينة .
قالت أم سلمة :

لما أزمع (أبو سلمة) الخروجَ إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة في حجرى ، ثم خرج لي يقود بي بغيره ، فلما رآته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا :
- هذه نفسك غلبتنا عليها أرايت صاحبك هذه ؟ علام نترك تسير بها في البلاد ؟

قالت :

- فتزعوا خطامَ البعير من يده ، فأخذوني منه ، وغضب عند ذلك

بنو عبد الأسد - رَهْطُ أَيْ سلمة - ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا بُنَى (سلمة) بينهم حتى خلعوا يده . وانطلق بنو عبد الأسد . وحَبَسَتِ بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي (أبوسلمة) إلى المدينة ، ففرَّق بيني وبين زوجي وبين ابني .

فكُنْتُ أخرج كُلَّ غداةٍ فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسى . سنةً أو قريباً منها حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمِّي أحدُ بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تُخرجون هذه المسكينة ، فرَّقْتُم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! فقالوا لي : الحق بزواجك إن شئت . وردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابني .

فارتحلتُ ببيعري . ثم أخذتُ ابني فوضعتُهُ في حجرِي ، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة وما معي أحدٌ من خلقِ الله . فقُلْتُ : أتبلَّغُ بمن لقيتُ حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كُنْتُ بالثنعم^(١) لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ فقُلْتُ : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟

(١) موضع بين مكة وسرف . على فرسخين من مكة .

فقلتُ : لا والله ، إلا الله وبُنَيَّ هذا .

قال : والله ما لكِ من مَثْرَكٍ ، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يَهْوِي بي ، فوالله ما صحبتُ رجلاً من العرب قطُّ أرى أنه كان أكرمَ منه ، كان إذا بلغ المنزلَ أناخ بي ، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحطَّ عنه ، ثم قيده في الشجرة ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا ذنا الرّواح ، قام إلى بعيري فقدمه فرحلّه ثم استأخر عني وقال : اركبي ، فإذا ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامي ، فقاده حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني (عمرو بن عوف) بقاء ، قال : زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فأدخلها على بركة الله ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

وإلى هنا تنتهي رواية (أم سلمة) رضي الله عنها وما من شكّ أنها لقيت من الأهوال والشدائد والمتاعب الشيء الذي لا يقدر ولا يوصف ، احتملته بعزيمة المؤمنة الصابرة ، الواثقة بقضاء الله وقدره ، ولو تصوّر أحدنا بُعد الشقة وطول المسافة ووحشة الطريق ، وحرّ النهار ، وبرّد الليل ، ومشقة السّفر لأدرك ما لقيته (أم سلمة) رضي الله عنها في سبيل محافظتها على عقيدتها ودينها ، وحرصها على اللّحاق برسول الله ﷺ قائد الدعوة ورائد الجماعة ، والتواجد مع زوجها ووالد طفلها الذي أكره على فراقها وآلايتعاد عنها ما يزيد على السنّة .

في المدينة

اجتمع شملُ الأسرة من جديد ، إذ استقبل «أبوسلمة» زوجته وابنه خير استقبال ، وأنزاحت من الجوَّ سحبُ سوداء أقامت زمناً ، وظللت غائم بيضاء ، ورفرف ألهاء بجناحيه في الآفاق .

إلى الجهاد

وانخرط «أبوسلمة» رضى الله عنه في صفوف المجاهدين في سبيل الله ، يخوض غمار المعارك ويبل في أحسن البلاء ، فكان له في «بدر» صولات وجولات ، وعرفته أرض «أحد» إذ بلل ثراها دمه الطاهر ، فقد جرح يومها جرحاً بليغاً كاد يودي بحياته إلا أن الله تعالى شفاه من ذلك مدخراً إياه ليوم آخر .

فقد أرسله رسول الله ﷺ أميراً على سرية للقضاء على (بنى أسد) ، فعاد من تلك الحملة موفقاً ظافراً منتصراً معه كثير من الغنائم والأسلاب فضلاً عن أنه أعاد للمسلمين هيبته التي افتقدوها يوم «أحد» .

لقد أجهد أبوسلمة نفسه يوم قاد هذه الغزوة المظفرة ، وناله من جراء إرهاقه لنفسه إجهاد كان من أثره أن تجدد الجرح القديم ونزف الدم ثم تقيح واستفحل شره حتى قضى في النهاية على المجاهد العظيم ، والنبي ﷺ إلى جانب فراشه يواسيه حتى أسلم الروح .

وتلقت «أم سلمة» رضى الله عنها تلك المصيبة بقلب مملوء إيماناً ،

ونفسٍ مشحونةٍ صَبْرًا ، مستسلمةٌ لأمرِ الله تعالى . شاكِرةٌ فضله على مَنَحِهِ الشهادةَ لزوجها (البطل) ، فكانت (المسلمة الخالدة) التي أعطت أعظمَ المثل في الصبر على الشدائد ، ولأخذ بيد الزوج إلى مراقي الفلاح والنجاح .

الزوجة الوفية

بعد أن مرت أربعة شعورٍ على وفاة «أبي سلمة» رضى الله عنه ، جاء «أبو بكر الصديق» رضى الله عنه إلى «أم سلمة» خاطبًا ، ولقد كانت عادةُ العرب في إكرام رجالهم العظام أن يحفظوهم في زوجاتهم إن هم قَضَوْا في ساحة الشرف وماتوا في ميدان الجهاد بالزواج منهن ، ولكن أم سلمة رَدَّتْهُ .

وجاءها عمر بن الخطاب خاطبًا فردته أيضًا ...

وتذكرت في خلوتها يومًا بنفسها حديثًا جرى بينها وبين زوجها إذ قالت له في أحد الأيام :

بلغنى أنه ليس امرأةٌ يموت زوجها وهو من أهل الجنة ، ثم لم تزَّجْ بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة ، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها فتعال أعاهدك ألا تزَّوجَ بعدى ولا أتزوجَ بعدك ، قال - أبو سلمة - فإذا متُ فتزَّوجى ، ثم قال : اللهم ارزق (أم سلمة) بعدى رجلًا خيرًا مِنى ، لا يُحْزِنُها ولا يُؤْذِيها .

خير من أُنَى سلمة

وبينما هي في سَبْحَةِ فِكْرِهَا هَذِهِ ، اسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ يُوَاسِيهَا وَيُخَفِّفُ عَنْهَا مُصَابَهَا وَقَالَ لَهَا :

- سَلَى اللَّهُ أَنْ يُوجِرَكَ فِي مَصِيبَتِكَ وَيُخْلِفَكَ خَيْرًا ..

فَبَكَتِ الْأَرْمَلُ الْحَزِينَةُ الَّتِي قَاسَمَتْ زَوْجَهَا السَّرَّاءَ وَالضَّرَّاءَ ، فَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الْحَبَشَةِ هَرْبًا مِنْ إِيْذَاءِ قَرِيْشٍ وَاسْتَمْسَاكَ بِدَيْنِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ أَحَبَّهُ وَأَحَبَّهَا ، وَوَفَتْ بَعْدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَمْ تَجِدْ فِي الرِّجَالِ جَمِيعًا مِنْ يَعْدِلُهُ ، وَرَفَضَتْ الْأَيْدِي الَّتِي تَقَدَّمَتْ لِحِطْبَتِهَا وَمِنْ بَيْنِهَا يَدَا صَاحِبِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .

وَقَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

- وَمَنْ يَكُونُ خَيْرًا مِنْ أُنَى سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَفَكَّرَ النَّبِيُّ فِي أَمْرِ أُمِّ سَلَمَةَ كَثِيرًا ، وَتَضَاعَفَ تَفَكُّيرُهُ فِي أَمْرِهَا عِنْدَمَا رَدَّتْ صَاحِبِيهِ ، فَأَكْبَرَ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ السَّيِّدَةَ .

لَقَدْ أَكْبَرَ الْمُسْلِمَةَ الْكَرِيمَةَ ، وَالْمُؤْمِنَةَ الصَّادِقَةَ .

لَقَدْ فَكَّرَ فِي أَمْرِ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْهَالِعَةِ فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تُتْرَكَ وَحِيدَةً هَكَذَا .

ثُمَّ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ أَنْ يَضُمَّ «أُمَّ سَلَمَةَ» إِلَى أُمّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

تَكْرِيمًا لَهَا ، وَرَفْعًا لِمَكَانَتِهَا ، وَتَعْظِيمًا لَشَأْنِهَا ، وَمُوَاسَاةً لَهَا .

رسول الله الخاطب

ثم أرسل عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة خاطبًا له : فقالت «أم سلمة» :

- مرحبًا برسول الله ﷺ ... ولكن أبلغه عني أني امرأة مُسِنَّة ، وأمُّ أيتام ، وأني فوق ذلك شديدة الغيرة .

فأرسل إليها رسول الله ﷺ يقول :

- أما قولك إنك امرأة مُسِنَّة فأنا أَسَنُّ منك . ولا يُعَاب على المرء أن يُقال : تزَوَّجَ أَسَنَّ مِنْهُ .

وأما قولك : إني أمُّ أيتام ، فإنَّ كُلَّهُم على الله ورسوله .
وأما قولك : إني شديدة الغيرة ، فإنِّي أدعو الله أن يُذهِبَ عنكَ ذلك .

وكان وليها في ذلك اليوم ولدها «عمر بن أبي سلمة» . وأصدقها رسول الله ﷺ متاعًا قيمته عشر دراهم (فراشٌ حَشَوهُ ليفٌ وقَدْرٌ وصحفةٌ ومجشَّةٌ) .

كانت «أم سلمة» رضى الله عنها على جانبٍ من الجمال ، فدبَّت الغيرة إلى نفس «عائشة» رضى الله عنها عندما علمت بالزواج ، وهكذا شَأْنُ النِّسَاءِ ...

وكان من إكرام النبي ﷺ لأم سلمة أنه كان إذا صلى العصر دخل على أزواجه واحدة واحدة مبتدئًا بأم سلمة لأنها أكبرهن ثم يختم بعائشة .

الزوجة الصالحة

كانت «أم سلمة» رضي الله عنها من النساء العاقلات الناضجات اللواتي يُدركن الأمور إدراكًا صحيحًا وقيمها تقيماً ، ويعطين فيها حكماً صائباً .

فعاشرت في بيت النبوة مُقدِّرةً وجودها حريصةً على مكانتها مراعيةً جانب المودة والألفة مع أمهات المؤمنين .

لهذا كله كانت منزلتها عند رسول الله ﷺ عظيمة رفيعة . وَحَدَّثَ فِي يَوْمِ «الْحُدَيْبِيَّةِ» أَنَّ أَمَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ تَوْقِيعِ عَقْدِ الصُّلْحِ مَعَ وَفْدِ قُرَيْشٍ ، أَنْ يَنْجَرُوا ثُمَّ يَخْلُقُوا فَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَرَدَّدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ دُونَ أَنْ يُجِيبَهُ أَحَدٌ إِلَى طَلْبِهِ فَدَخَلَ عَلَى «أُمِّ سَلَمَةَ» فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ صُدُودِ النَّاسِ وَإِعْرَاضِهِمْ ، وَهُوَ حَزِينٌ مُتَأَلِّمٌ .

فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَحِبُّ ذَلِكَ ، أَخْرَجَ فَلَا تَكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرُ بُدْنَتَكَ ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ .

فَاسْتَصَوَّبَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْيَ «أُمِّ سَلَمَةَ» الَّتِي أَشَارَتْ بِهِ ، وَالَّذِي سَيَكُونُ - وَلَا شَكَّ - حَافِظًا فِعْلِيًّا عَلَى تَحَرُّكِ النَّاسِ .

فَقَامَ وَخَرَجَ وَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً ، فَجَرَّ بُدْنَتَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا .

وهكذا كانت رضى الله عنها في كثير من المواقف ، لا تصدر إلا عن
نضجٍ وعُمقٍ تفكيرٍ .

ولقد حفظت في ذاكرتها كثيراً مما حَدَّثَ رسول الله ﷺ فروثه عنه
بأمانة الناقل ووعى السامع .

* * *

بعد رسول الله ﷺ

وبعد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى أقامت أم المؤمنين
«أم سلمة» ترقب مجريات الأمور وتطور الأحداث والوقائع فتدلى برأيها
في كُلِّ شأنٍ حفاظاً منها على استقامة الناس وعدم انحرافهم وخاصّةً
أصحاب السلطان من الخلفاء والولاة .

ولقد روى المؤرخون أنها رضى الله عنها دخلت على عثمان بن عفان
رضى الله عنه في أثناء خلافته ، وحديثه ناصحةً فقالت :

- يا بنى ، مالى أرى رعيتك عنك ناقرين ، وعن جناحك
ناقرين ؟ ، لا تعفُ طريقاً كان رسول الله ﷺ يُحِبُّها ، ولا تقتدح بزئدٍ
كان عليه السلام أكباه .

وتوخَّ حيث توخَّى صاحبك (أبو بكر وعمر) فإنها ثكما الأمر ثكما
ولم يظلما .

هذا حقٌّ أمومتي قضيتُهُ إليك ، وإن عليك حقَّ الطاعة .

فقال عثمان :

أما بَعْدُ ، فقد قُلْتُ فَوَعَيْتُ ، وَأَوْصَيْتِ فَقَبِلْتُ .

وَقُتِلَ (عثمان) رضى الله عنه ، فجزنت لفقده واستشهاده على الصورة المُوَلَّدة التى حدثت ، فدخل عليها رجلٌ من بنى تميم يسألها عن (عثمان) فقالت :

- شكا الناسُ مِنْهُ ظُلامَةً فاستتابوه فتاب وأناب ، حتى إذا صيروه كالثَّوبِ الأَبْيَضِ مِنَ الدَّنَسِ ، عمدوا إليه فقتلوه .

الغيورة على أمهات المؤمنين

وحين عزمَت «عائشة» رضى الله عنها الخروج إلى وقعة (الجمل) ، كتبت إليها «أم سلمة» قائلة :

من «أم سلمة» زوج النبي ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين ، فإني أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فقد هتكت سُدَّةَ بين رسول الله ﷺ ، وأُمته حجابٌ مضروب على حرمة ، قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه ، وسكن الله من عقيراك فلا تصحريها صرح الله من وراء هذه الأمة ، لو علم رسول الله ﷺ أن النساء يحتملن الجهاد عَهْدَ إليك ، أما علمت أنه قد نهاك عن الفراطة فى الدين ، فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال ، ولا يرأب بهنَّ إن انصدع ، جهاد النساء غَضُّ الأطراف ، وَضَمُّ

الذيول ، وقصر المودة ، ما كنتُ قائلةً لرسول الله ﷺ لو عارضك ببعض هذه الفلوات ، ناصة قعوداً من منهلٍ إلى منهل ، وغداً تردين على رسول الله ﷺ ، وأقسم لو قيل لي : يا «أم سلمة» ادخلي الجنة لأستحييتُ أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكة حجاباً ضربه عليّ ، فاجعليه سترك ، وقاعة البيتِ حصنك ، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قهرت عن نصرتهم ، ولو أني حَدَّثْتُكِ بحديثٍ سمعته من رسول الله ﷺ لنهشتِ نهشَ الرقشاء المطرقة ، والسلام .

المجاهرة بالحق

وحين تولى «معاوية بن أبي سفيان الخلافة» أرسل «بسر بن أبي أرطاة» إلى المدينة ليأخذ البيعة له من الناس ، فقال بسر : لا أباع رجلاً من بني سلمة حتى يأتي جابر .

فأتت «أم سلمة» وكانت قد بلغت من الكبر عتياً فقالت : بايع ، لقد أمرت (عبدالله بن زمعة) ابن اخي ، أن يبايع على دمه وماله ، أنا أعلم أنها لبيعة ضلالة .

كما أرسلت إلى «معاوية» حين أمر بلعن الإمام على كرم الله وجهه على المنابر قائلة :

- إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، ذلك أنكم تلعنون (على ابن أبي طالب) ومن أحبه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله .

(الوفاة)

وظلَّت رضى الله عنها أُمًّا للمؤمنين ، ترفعُ عنهم بلسانها غائلة الظلم
ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً وتنافح عنهم جور السُّلطان ما أمكنها ،
وتصدَّعُ بكلمة الحقِّ لا تخشى فيها لومةَ لائم .

فَلَمَّا كَانَ شهر ذى القعدة من العام التاسع والخمسين للهجرة دبَّ
الفناءُ إلى أوصالها ، وأسلمت الروح راضيةً مرضيةً ، فصلى عليها
أبو هريرة رضى الله عنه ودُفِنَتْ بالبقيع وقد تجاوزت الرابعة والثمانين من
عُمُرِها .

رضى الله عن أُمِّ المؤمنين «هند بنت أبي أمية» أُم سلمة ، الزوجةِ
الوفية ، والمجاهدة الصابرة ، والعالمة الجليلة ، والمحدثِة الأُمينة ، حاملةِ
راية الحق .

زَيْنَبُ الْكُبْرَى

بنت رسول الله ﷺ

قال الله تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ، تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ،
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ، وَلَا تُطْعِمِ
الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾
- صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ -

سورة الأحزاب : الآيات (٤٠ - ٤٥)

وقال «أبو العاص بن الربيع» زَوْجَ «زينب» رضى الله عنهما :

ذَكَرْتُ زَيْنَبَ لَمَّا وَرَّكَتُ إِرْمًا

فَقُلْتُ سُقِيَا لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الْحَرَمَا

بِنْتُ «الأمين» جزاها الله صَالِحَةً

وَكُلَّ بَعْلٍ سِثْنِي بِالذَى عَلِمَا

توطئة

حدَّثُوا أَنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ أَتَى «أبا الحكم بن هشام بن المغيرة» -
(أبو جهل) - فَسَأَلَهُ :

- يَا أبا الْحَكَمِ ، مَا رَأَيْكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ ؟ فَأَجَابَ :

- مَاذَا سَمِعْتُ ؟ تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ : أَطْعَمُوا

فَأَطْعَمْنَا ، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا (أى الدِّيَّاتِ) ، وَأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا ، حَتَّى إِذَا

تَحَاذَيْنَا عَلَى الرُّكْبِ وَكُنَّا كَفَرَسَى رِهَانٍ قَالُوا :

- مِمَّنْ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ ... فَتَى نُذْرِكَ مِثْلَ هَذِهِ ؟ وَاللَّهِ

لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ !!!

لقد كان تصوُّر الجاهليَّة القرشيَّة للنُّبوة تصوُّراً مُركباً مُعقداً ينبع من تقاليد بيئتها ، وسُخفِ نزعتها ، المختلط بعنجهية فارغة وكِبَرِ أَجْوَف ، ولم يُدركوا أن رسالة محمد (عليه السلام) ودعوته إنما هي رحمة مُهداة إلى البشرية قاطبة ، والعالم أجمع وثورة تحريرية لعقل الإنسان ونفسه .

نسبها ونشأتها

ولدت «زَيْنَبُ» رضى الله عنها قبل بعثته والدها ﷺ بعشر سنين ، وكانت باكورة زواجه من أم المؤمنين «خديجة بنت خويلد» رضى الله عنها ، وهى أكثر أخواتها شبهاً بأبيها (عليه السلام)

وهى تتنسب إلى أشرف أبوين فى الوجود ، فوالدها هو محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين ، إمام الأنبياء ، وقُدوة المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، عليه وعلى آله وصحبه الأبرار الطاهرين أزكى الصلاة وأطيب التسليم . وأمها هى سيِّدة نساء العالمين ، ذُرَّة قريش نسباً وشرفاً وفضلاً وعِلاً ، زَوْجَةُ أَحَبِّ خلق الله إلى الله ، محمد «عليه السلام» .

نشأتها

خَرَجَتْ إلى الدُّنيا فى أَكْرَم مَنبَتٍ ، أَنبَتَهَا سُلَالَةُ قُرَشِيَّة عريقة أصيلة ، ما عرف العرب أعزَّ منها ولا أَتقى ، واستقبلها بيتُ كَرِيم البنيان طاهر الأردن ، استقبالا لم تظفر بمثله تَرْبٌ لها ، لأنها كانت ثمرة زواج سعيدٍ قام على الْحُبِّ المتبادل ، والمودة

الخالصة ، والاحترام العظيم ، ولقد رأى فيها الأب الكريم (صلوات الله وسلامه عليه) صورةً لطيفةً من زوجته الحبيبة ، التي أنستهُ بحنانها الغامر وحدها الكبير ، كل ما عاناهُ في طفولته من قسوة اليُتم .

وكانت الأم العظيمة «خديجة» ترى فيها فلذة حية من زوجها الحبيب العزيز ، الذي بهرها منذُ عرفته بجلال طاعته ، وأسرها بمهايته ونبل شخصيته ، وفتنّها بجميل خصاله ، فتفتّح له قلبها المغلق بسبب زواجٍ سابقٍ غير موفق ، فأقبلت على الحياة من جديد .

* * *

ولقد كانت «زَيْنَبُ» - رضى الله عنها - بإطلالتها الأولى على بيت النبوة ريحانة تفيض عليه طيباً عابقاً ، وبهجة غامرة .
وعُهد بها على عادة أشراف العرب إلى الممرضعات ، فلما أخذت حظها ونصيها ، تلقفها البيت الكريم ثانيةً بشوقٍ بالغ ، وعطف غامر .
ولما شبت (رضى الله عنها) ، بادرت أمها بتدريتها على المشاركة في عبء المنزل ، وأخذتها على الثمرين مأخذ الجد ، وحاوَلت أن تبعدَها قدر الإمكان عن عبث الطفولة ولهُوها ؛ فكانت - وهي لا تزال فتاة صغيرة - لشقيقتها الصُغرى «فاطمة» -

رضى الله عنهما - نِعَمَ المَرِيَّةِ وَالرَّاعِيَةِ الصَّالِحَةِ ، تُرعى شئونها ، وتُتْلَعُ عنها
وتَقُومُ على خِدْمَتِهَا .

وحين اكْتَمَلَتْ أُنُوثَتُهَا ، تَقَدَّمَ لخطبتها ابن خالتها «أبو العاص
ابن الربيع» الذى كان كثير التعلُّق بِخَالَتِهِ «خديجة» التى كانت تُنَزِّلُهُ مَنَزِلَ
الابن ، وتُعْمِرُهُ بِعَطْفِهَا وَحَنَانِهَا .

وكان «أبو العاص» يرى «زَيْنَبُ» كُلَّما جاء إلى بَيْتِ خَالَتِهِ فَيُؤَخِّدُ
بِجَلالِ مَرآها . وَعُدُوبَةِ حَدِيثِها ، وَذِكاءِ مَلامِحِها ، وَلُطْفِ طَباعِها ،
وتَفْتَحُ أُنُوثَتَها ...

كَانَتْ «زَيْنَبُ» - رضى الله عنها - تُرْتَّاحُ إلى مَحْضَرِهِ ، وَيُطِيبُ لها
أَنْ تُصْغى إلى أَخْبَارِهِ وَمَافِها مِنْ طَرَائِفَ وَغَرَائِبَ .
وهكذا تَفْتَحُ الْقُلُوبانِ ، وَأُحْسا كَمْسَةِ الْحُبِّ الرَقِيقَةِ السَّاحِرَةِ تُحَرِّكُ
وَجَدَانِها وَعَاطِفَتِها .

تَقَدَّمَ «أبو العاص» لخطبة «زَيْنَبُ» فَأَحْسَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقَاءَهُ ،
وَأَصْغى إِلَيْهِ بِكُلِّ جِوارِحِهِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَأْذَنَهُ فى سَؤالِ صاحِبَةِ الشَّانِ ،
ثُمَّ أَتى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى ابْنَتِهِ . وَقَالَ لها :
- «بِنْتِي «زَيْنَبُ» إِنَّ ابْنَ خَالَتِكَ «أبا العاص بن الربيع» ذَكَرَ اسْمَكَ ..

فسكتت «زَيْنَبُ» حياءً ولم تُجِرْ جواباً ، ولكن خفقات القلب
الطاهر ، وإغضاء النظر حياءً كانا خير جواب .
فعاد (عليه السلام) إلى «أبي العاص» وصافحه مُهنئاً وداعياً مباركاً .

في بيت الزوجية

وفي بيتِ الزوجية أَظَلَّت «زَيْنَبُ» وزوجها «أبا العاص» سعادةً
غامرةً ، وَحُبُّ مُتَبَادَلٍ ، فَنهَلَا من رحيق الودِّ أَصْفَى شرابٍ وَأَنْقَاهُ .
وكان «أبو العاص» بِحُكْمِ تِجَارَتِهِ ومَكَانَتِهِ في قَوْمِهِ كثيرَ السَّفَرِ ؛ يَغْدُو
إِلَى الشَّامِ فيَغِيبُ أَيَّامًا وَلِيَالِي ، فَتُعَانِي «زَيْنَبُ» من أَلَمِ الْفِرَاقِ ، وَيُعَانِي
هُوَ مِنْ أَلَمِ الْبُعَادِ ، وَلَقَدْ هَاجَ بِهِ الشَّوْقُ مَرَّةً فِي إِحْدَى رِحَالَتِهِ فَأَنْشَدَ
يقول :

ذَكَرْتُ «زَيْنَبَ» لَمَّا وَرَّكَتُ إِرْمًا
فَقُلْتُ : سُقِيَا لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الْحَرَمَا
بُنْتُ الْأَمِينِ جَزَاهَا اللَّهُ صَالِحَةً
وَكُلٌّ بَعْلٍ سَيْئَنِي بِالذِي عَلِمَا

وَضَعَتْ «زَيْنَب» لِأَبِي الْعَاصِ وَلَدَيْنِ : «عَلِيًّا» وَ«أُمَامَةَ» فَاكْتَمَلَتْ
بِهِمَا فَرَحَةُ الْبَيْتِ ، وَأَمْتَلَتْ جَوَانِبُهُ سَعَادَةً وَهَنَاءَةً .
ولكن ...

وفي ذات يَوْمٍ ، وَبَيْنَمَا كَانَ «أَبُو الْعَاصِ» فِي إِحْدَى رِحْلَاتِهِ حَدَّثَ
الْأَمْرَ الْعَظِيمَ وَنُبِئَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالرَّسَالَةِ .
وَتَابَعَتْ «زَيْنَب» أَبَاهَا ، شَأْنَ أُمِّهَا وَأَخَوَاتِهَا وَأَهْلِهَا ، وَلَمَّا عَادَ
الزَّوْجُ مِنْ رِحْلَتِهِ حَدَّثَتْهُ بِمَا حَصَلَ أَثْنَاءَ غِيَابِهِ .

مفترق الطريق

وقال «أبو العاص» لزوجته الحبيبة :

- والله ما أبوك عندي بمتهم ، وليس أحب إليَّ من أسألك معك
يا حبيبة في شعبٍ واحد ، لكنني أكره لك أن يقال إن زوجك خذل
قومه وكفر بالله آبائه إرضاء لأمراتيه ، فهلاً قدَّرتِ وعذرتِ !!
وهماً بعناق ... ثمَّ ما لبثنا أن تراجعنا فجأةً وكأنَّ حاجزاً قد قامَ
بينهما فحال دُونَ بُغْيَتِهَا ، وانكفئنا ...

ولم ينأما ليلتهما ، ولا الليالي التي بعدها ، وساد جو المنزل قلقٌ
وهمٌّ وحذرٌ ، وانقلبَ التَّعِيمُ إِلَى جَحِيمٍ .

المؤمنة الصابرة

اشتدَّ أذى الكُفار والمُشركين لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأنفرد (عليه السَّلام) بأهله وبالمؤمنين في شِعْب (أبي طالب) سنين عددا ، قد فُرِضَتْ عَلَيْهِمُ الْمُقَاتَعَةُ وَالْمُبَاعَدَةُ ، فَكَانَتْ «زَيْنَبُ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَأْلُمُ وَتَحْزَنُ . وَتَبْكِي أحيانًا . ثُمَّ تَصْبِرُ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ . أَمَلًا بِالْفَرَجِ وَالضِّيَاءِ . بَعْدَ لَيْلٍ دَامَسَ مِنَ الْعَذَابِ ...

وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرَ الْأَذَى . وَعَظِيمَ الشَّدَّةِ ، خُصُوصًا إِذَا ذَهَبَ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ أَذَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةُ سُمُوَا لِكثْرَةِ أَذَاهُمْ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ . وَأَوَّلُهُمْ وَأَشَدُّهُمْ أَبُو جَهْلٍ (عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ) بْنُ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوَمِيُّ الْقُرَشِيُّ . قَالَ يَوْمًا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ أَتَى مَا تَرُونَ مِنْ عَيْبٍ دِينَكُمْ وَشَتَمَ آلِهَتَكُمْ وَسَبَّ آبَائَكُمْ ، إِنْى أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَجْلَسَنَّهُ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ لَا أُطِيقُ حَمْلَهُ فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ رَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْلِمُونِى عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ أَمْنَعُونِى ، فَلْيَصْنَعْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ مَا بَدَأَ لَهُمْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَكَانَ يَغْدُو إِلَى صَلَاتِهِ وَقُرَيْشٌ فِي أُنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ . فَلَمَّا سَجَدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مِنْهَزِمًا مِنَ الْفَرْعِ ، وَرَمَى حَجْرَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا : مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ !

قال : قمتُ إليه لأفعلَ ما قلتُ لكم ، فلما دنوت منه عرض لي
 فحُلُّ من الإبل : والله ما رأيتُ مثله قط همَّ بي أن يأكلني .
 فلما ذكر ذلك لرسول الله قال : ذاك جبريل . ولو دنا لأخذه .
 وماتت «خديجة» الأمِّ الرءوم ...
 ومات «أبو طالب» العمُّ الحنون ...
 واستبدتْ بقریش نَزْعَةُ الْجَهْلِ وَالشُّرْكِ وَالْإِيْدَاءِ .
 فراح الألمُ يُمزِّقُ قَلْبَ «زَيْنَب» عليها السلام . ويفرى كَبَدَهَا .

الهجرة

وَأَصْبَحَتْ ذَاتَ يَوْمٍ ، وقد طَبَّقَ أَجْوَاءُ مَكَّةَ خَبْرُ مُطَارَدَةِ قُرَيْشِ
 لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الذي خَرَجَ مِنْ (مَكَّةَ) إِلَى (يَثْرِبَ) مهاجرًا ، فلما عَلِمَتْ
 بوصولِهِ سالماً اطمأنت وسعدت ...
 وَبَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ مِنْ يَثْرِبَ مُوقِفٌ فَصَحِبَ أُخْتَيْهَا «فاطمة» و«أم كلثوم»
 وبقيت زَيْنَبُ فِي (مَكَّةَ) فِي مَنْزِلِ زَوْجِهَا «أبي العاص» تنتظر قضاءَ اللَّهِ
 وَأَمْرَهُ .

الأسير

وَخَرَجَ «أبو العاص» مع قُرَيْشٍ فِي نَفِيرِهَا لِحِمَايَةِ تِجَارَتِهَا الَّتِي تَعَرَّضَتْ
 لِتَهْدِيدِ الْمُسْلِمِينَ ، ودارت رَحَى الْقِتَالِ ، وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ ، ووقع
 «أبو العاص» أسيرًا .

ولما استعرض رسول الله ﷺ الأسرى نحى «أبا العاص» جانباً وقال لأصحابه :

- استوصوا بالأسرى خيراً

وكانت «زَيْنَبُ» في وضعٍ لا تُحسدُ عليه . وحين بدأت عملية فداء الأسرى ، كانت رضى الله عنها راغبة في عودة زوجها إليها مُستثيرة همّة والدها العظيم لذلك ، فاستخرجت من صندوق ثيابها وحليها قلادة كانت لأُمها «خديجة» رضى الله عنها ، وأهدتها إليها يوم عرسها . ثم حملتها لشقيق زوجها (عمرو بن الربيع) كى يُقدّمها فديةً عن زوجها . ولم يكذُ (عليه السلام) يرى تلك القلادة حتى رَقَّ لها رِقّة شديدة ، وخَفَقَ القلب الكبير للذكرى العظيمة .
وأطرقَ الحاضرون من الصّحابة خاشعةً أبصارهم وقد أسروا بجلال الموقف وروّعته .

وبعد صمت طويل قال ﷺ :

- إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا !!!
فقالوا جميعاً :

- نعم يا رسول الله

الفراق

لَكُنْ نَبِيَّ ﷺ أَوْصَى (أَبَا الْعَاصِ) أَنْ يُرْسِلَ (زَيْنَبَ) وَيَتْرَكَهَا فَإِنْ
الْإِسْلَامَ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا .

وعاد (أبو العاص) إلى (مكة) فاستقبلته (زَيْنَبُ) هاشئةً باشئةً ، فَرِحَةَ
مَرْحَبَةٍ ، وكان هو بادی الوجوم ، ظاهرَ الْحُزْنِ . ثم قال :
- جِئْتُكَ مُودِّعًا يَا (زَيْنَبُ) ...
وأخبرها بما وعدَ أباهَا مِنْ رَدِّهَا إِلَيْهِ .

وعلى مضضٍ خَرَجَتْ (زَيْنَبُ) مِنْ (مَكَّةَ) . وودَّعَتْ (أَبَا الْعَاصِ)
وداعًا مؤثِّرًا ، فقال لها :

- مَهْ يَا (زَيْنَبُ) فَسَأُبْقِي عَلَى حُبِّكَ مَا حَيَتْ وَفِيًّا ، وَسَيَبْقِي
طَيْفُكَ أَبَدًا مَلَأَ هَذِهِ الدَّارَ الَّتِي شَهِدْتَ أَحْلَى وَأَطْيَبَ أَيَّامَ حَيَاتِنَا ..
وَمَسَحَتْ (زَيْنَبُ) دُمُوعَهَا الْمَتَرِّقَةَ . وَانْصَرَفَتْ .

ولكن قُرَيْشًا تَصَدَّتْ لَهَا وَمَنَعَتْهَا وَأَعَادَتْهَا إِلَى مَكَّةَ . وَرُوِّعَتْ (عَلَيْهَا
الْإِسْلَامَ) بِمَا حَدَّثَ لَهَا ، وَكَانَتْ حَامِلًا ، فَتَزَفَّتْ دَمًا وَأَجْهَضَتْ
حَمْلَهَا ، وَحَمَاهَا (أَبُو الْعَاصِ) عِنْدَهُ حَتَّى اسْتَعَادَتْ قُوَّتَهَا وَعَافِيَتَهَا .
وَأَغْتَنِمَ يَوْمًا غَفْلَتَ فِيهِ قُرَيْشٌ عَنْهَا ، فَأَخْرَجَهَا بِصَحْبَةِ أَخِيهِ
(كَنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ) حَتَّى أَبْلَغَهَا مَأْمَنَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَعَادَ (كَنَانَةُ)
يُرَدِّدُ وَيَنْشُدُ :

عَجِبْتُ لـ (هَبَّارٍ) وَأَوْبَاشٍ قَوْمِهِ
يريدون إخْفَارِي بِنْتِ مُحَمَّدٍ
ولستُ أباي ، ما حييتُ ، عديدهم
وما استَجْمَعْتُ قبضاً يدي بمهتدي

في الأسر مرة ثانية

خرج (أبو العاص) إلى الشام في غير لقريش ، وبلغ رسول الله ﷺ
أن تلك العير قد أقبلت من الشام ، فأرسل (زيد بن حارثة) - رضي الله
عنه - في مائة وسبعين راكباً فللقوا العير بناحية (العيص) في جمادى الأولى
سنة ست من الهجرة ، فأخذوها وما فيها من الأثقال ، وأسروا جماعة
ممن كانوا في حراسة القافلة ، منهم «أبو العاص بن الربيع» .
ودخل (أبو العاص) على (زينب) مستجيراً فأجارته ، فلما صلى رسول
الله ﷺ الفجر قامت (زينب) على باب أبيها مستشفعة وقالت :
- إني قد أجزت (أبا العاص بن الربيع) ... فخرج (عليه السلام)
وقال :

- أيها الناس هل سمعتم مما سمعت ؟

قالوا : نعم .

قال :

- فوالذي نفسي بيده ما علمتُ بشيء مما كان حتى سمعتُ الذي

سمعتم : (المؤمنون يدُّ على مَنْ سواهم يُجِيرُ عليهم أذنهم) وقد أَجَرْنَا مَنْ
أَجَّارَتْ .

فلما انصَرَفَ (عليه السلام إلى منزله دخلتْ عليه (زينب) فسألته أن
يرُدَّ على (أبي العاص) ما أخذَ مِنْهُ ، ففعل ، وأمرها أن لا يقربها فإنها
لا تحِلُّ له ما دام مُشْرِكًا .

ورَجَعَ (أبو العاص) إلى مكَّة فأدَّى إلى كُلِّ ذى حقٍّ حقه ، ثُمَّ أعلن
إسلامه في نادى قُرَيْشٍ وعلى رعوس النَّاسِ ، وانصرف إلى المدينة ،
مُسْلِمًا مُهاجرًا ، وردَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ (زينب) ، فاجتمع الشَّملُ ،
واكتمل العقد ، ونخيم على الدار ما كان مِنْ قَبْلُ من حُبورٍ وسرورٍ
وسعادة .

الفراق الأبدي

مضى على الزَّوجين عام واحد في المدينة يعبان من السعادة والفرحة ،
ثُمَّ كان الفراق الذى لا لقاء بعده ، إذ ماتت (زينب) رضى الله عنها -
في مُسْتَهَلِّ السنة الثامنة للهجرة متأثرة بمرض النَّزف الذى لازمها منذ
هجرتها .

وبكاها (أبو العاص) بُكاءً حارًّا ، وتشبَّثَ بها حتى أبكى من حَوْلِهِ ، وجاء رسول الله ﷺ دافع العينَ محزون الفؤاد ، ثم قال : - اغسلنها ثلاثًا ... واجعلن في الآخرة كافرًا . ثم صلى عليها ، وشيَّعها إلى المقرِّ الأخير .

وعاد (أبو العاص) إلى ولَدَيْهِ : (عليٍّ) و(أمامة) يُقبلُهما ويبلِّلُهما بدموعِهِ مُستَذَكِّرًا وَجْهَ الحبيبة الغائبة .

رضى الله عن (زينب) بنت رسول الله ﷺ وجزاها بما صَبَرَتْ وكافَحَتْ وجَاهَدَتْ جَنَّةً وحريراً .

رُقِيَّة

بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ
وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي
جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

- صدق الله العظيم -

سورة المسد

لما أنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ خَرَجَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى «الْصُّفَا» فَصَعِدَ عَلَيْهِ وَهْتَفَ :
- وا صباحاه ...

فلما اجتمعوا إليه قال :

- أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ الْجَبَلِ أَكُتُّمُ
مُصَدِّقِيَّ ؟؟

قالوا :

- ما جرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ...

قال :

- فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

فأنبرى له أَبُو لَهَبٍ قَائِلًا :

تَبَّ لَكَ إِلَهَذَا جَمَعْتَنَا ...

فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

وقال الشاعر الأنصارى (الأحوص) فى حَبْلِ امرأة أبى لَهَبٍ :
 ما ذاتُ حَبْلٍ يراهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
 وَسَطَ الْجَحِيمِ ولا يَخْفَى على أَحَدٍ
 كُلُّ الحَبالِ ، حبالِ الناسِ ، من شَعْرِ
 وحَبْلِها وَسَطُ أَهْلِ النَّارِ مِنْ مَسَدٍ

توطئة

لقد كان الله تعالى مانعاً لرسوله ﷺ ولِمَنْ تَبِعَهُ من المؤمنين ،
 فلا تنالُ قريش من إيمانهم وقلوبهم وعزائمهم ، وإن نالت من
 أبدانهم .

فقد روى أَنَّ «أمَّ جميل» - حمالة الحطب - حين سمعت ما نزل
 فيها وفى زوجها من القرآن ، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد
 عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - وفى يديها فِهْرٌ من
 حجارة - وهى قطعة تملأ الكف - فلما وقفت عليها أخذ الله ببصرها
 عن رسول الله ﷺ فلم تر إلا أبا بكر ، فقالت :

- يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو
 وجدته لَضربتُ بهذا الفِهْرِ فاهُ ، أما والله إننى لشاعرةٌ ، ثم قالت :
 مَذَمَّمَا عَصَيْنَا ، وأمره أبينا ، ودينه قلينا .

مسلمات مؤمنات

محمد علي قطب



المختار
الاسلامي